الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الدكتور الطاهر مولاي –سعيدة–
كلية الآداب واللغات والفنون
قسم اللغة العربية وآدابها

ثنائية المرأة والوطن
في شعر محمود درويش

مذكرة تخرج لنيل شهادة ليسانس (ل.م.د)
تخصص: أدب عربي

إعداد الطالبتان:
- ✓ معزوزي سعاد
- ✓ قوراري إكرام

إشراف الأستاذ:
- ♦ د. عبيد نصر الدين.

السنة الجامعية
2017/2016

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكر وعرفان

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

عملا بقوله تعالى «وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ »

نشكر الله على نعمه التي لا تقدر ولا تحصى ومنها توفيقه تعالى على إتمام هذا العمل

نتقدم بجزيل الشكر والامتنان وخالص العرفان والتقدير إلى الأستاذ المؤطر «نصر الدين عبيد» الذي شرفنا بقبوله الإشراف على هذه المذكرة وعلى دعمه وتوجيهاته القيمة فجزاه الله خير الجزاء

كما نتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ الغالي «باقي عبد الرحمن»

كما يسرنا أن نوجه أسمى آيات التقدير والعرفان إلى أساتذتنا الكرام أساتذة الأدب العربي

كما نتقدم بخالص الشكر إلى الزميل «حليمي عبد الرحمن» الذي لم يبخل علينا بمساعدته ومساندته لنا

إلى كل طلبة السنة الثالثة أدب عربي بجامعة الدكتور مولاي الطاهر سعيدة 2017/2016

إلى كل من ساهم في هذا العمل من قريب أو من بعيد

إهداء

إلى ملاكي في الحياة إلى معنى الحب والحنان والتفاني إلى بسمة الحياة وسر الوجود إلى من كان دعائها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي، إلى من بها أكبر وعليها أعتمد... إلى شمعة تنير ظلمة حياتي إلى أغلى الحبايب أمي «صفية»

إلى من رأيت الحياة الموحشة مؤنسة بجوارها وبقلب ذكراها في جوانحي لحنًا يصارع الألم، إلى روح جدتي.

إلى من أحمل اسمه بكل فخر، إلى من أفتقده منذ الصغر أبي أطال الله في عمره

إلى أولئك الذين أحيا بهم ومعهم، إلى من شاركوني القلق في دجى هذا الدرب وأحسوا معي بكل لحظة انكسار لابد أن يقوى أمامها الأمل إلى خالاتي «خديجة، وفاطنة» وإلى أخوالي «عبد المالك، وبناعمة».

إلى شموع الأمل: «ريتاج، إلياس، ملك أماني، إشراق، إيمان، سيف الإسلام، أيوب، يونس، عبد الهادي، أنس، زهير».

إلى من جعلهم الله إخوتي بالله إلى من تذوقت معهم أجمل اللحظات، إلى من أظهروا لي ما هو أجمل في الحياة إخوتي «مراد، بوعلام».

إلى أخي الذي لم تلده لي أمي إلى من تحلى بالإخاء وتميز بالوفاء والعطاء إلى ينبوع الصدق الصافي، إلى من معه سعدت وبرفقته في دروب الحياة الحلوة والحزينة سرت إلى من كان معي على طريق النجاح والخير أخي وزميلي في الدراسة «يخلف بغدادي»

إلى من عمل معي بكد بغية إتمام هذا العمل إلى صديقتي ورفيقة دربي «سعاد معزوزي»

إلى الذين أحببتهم وأحبوني صديقاتي: «لطيفة، هاجر، أسماء، زهية، تركية، عقيلة، خضرة، شافية، حميدة، هدى، حياة، صباح، حليمة».

إكرام.

إهداء

الحمد لله الذي وفقني لهذا ولم نكن لنصل إليه لولا فضله، إلى من نزلت في حقهما الآيات الكريمة في قوله تعالى: «وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا»، إلى من ربتني وأنارت دربي وأعانتني بالصلوات والدعوات، إلى أغلى إنسان في هذا الوجود أمي الحبيبة «زينب رشيدة»

إلى من عمل بكد في سبيلي وعلمني معنى الكفاح وأوصلني إلى ما أنا عليه أبي الكريم «العام» أدامه الله لي

إلى روح جدتي الطاهرة لأمي رحمها الله، وإلى جدتي لأبي أطال الله في عمرها

إلى القلوب الرقيقة والنفوس البريئة إلى رياحين حياتي إخوتي «محمد، بن عامر»

وأخواتي «العمارية، نجية، سهام، خيرة، فوزية، فاطمة الزهراء»

وإلى البراعم الصغار «أنفال، وليد، إبراهيم، إسماعيل، فاطمة الزهراء، فوزية، عبد الناصر، نهال، وسام»

إلى من رافقتني في هذا العمل صديقتي ورفيقة دربي «قوراري إكرام»

إلى من ساندني ووقف بجانبي «عبد القادر حبيبش» حفظه الله

إلى من ضاقت السطور من ذكرهم فوسعهم قلبي صديقاتي «س.نصيرة، صفاء، س.حنان، شيماء، فاطمة الزهراء، ربحة، ت.حنان، فتيحة، زهرة، كلثوم، نورة، جهيدة، بركانة، نجاة، ب.نصيرة، جمعة، جهاد، نسرين»

وإلى كل عائلة «معزوزي» و«سماحي»

سعاد.

مقدمة

مقدمة:

يلعب الشعر دورًا كبير في حياتنا العربية المعاصرة، فهو نسيج لغوي يستنطق اللغة ويحاورها ويقوم بإعادة تركيبها، واللغة لا تزال في معركة البقاء الوطني، تأخذ حجمًا حضاريا كبيرًا، فهي الطريق للعودة إلى الينابيع وتشير إلى انبثاق ينابيع جديدة، وعليه فالقراءة في الشعر الفلسطيني المعاصر يعني البحث عن الشخصية العربية، لأنه يتكلم عن الأرض العظيمة التي أسالت حبر كل أبي غيور على دينه ووطنه وعروبته، هذه الأرض –فلسطين– التي ينزف جرحها تحديًا وصمودًا لأجل مواصلة الكفاح عن أرض فلسطين الأبية الغالية.

وقد لا تكفي الكلمات وهي لا تكفي فعلا إذا تحدثنا عن جرح عميق اسمه فلسطين، فهناك من أبدع وأجاد في التغني بها ووصف مآسيها وواقعها وأملها، ومن هؤلاء الفحول الشاعر الكبير "محمود درويش" شاعر الثورة والقضية الفلسطينية.

حيث شكل مدى سنوات عطائه الشعري والأدبي، ظاهرة شعرية لافتة للنظر ومدرسة إبداعية، جديرة بالتوقف أمامها، ومن خلال قصائده ودواوينه نجد أنه تكلم عن المرأة كثيرًا، ويقابلها في الجهة الثانية الأرض البريئة المظلومة فلسطين، وهذا ما توضح لنا في العديد من قصائده مدافعًا عن هذا الأخير.

لذا قررنا أن يكون عنوان مذكرتنا هو «ثنائية الوطن والمرأة عند محمود درويش»، ومن هنا قد تبرز عدة أسئلة حول الوطن والمرأة عمومًا:

- فما هي موضوعاتها؟ ومجالاتها؟
- وكيف عالجها محمود درويش في شعره؟

قبل الإجابة عن هذه الأسئلة، سنحدد وانطلاقا مما سبق مجموعة من الدوافع الذاتية (الشخصية) والموضوعية التي وقفت وراء اختيارنا لهذا الموضوع دون غيره، ونقصد بالموضوع «ثنائية الوطن والمرأة عند محمود درويش»، أما الدوافع الذاتية فقد تمثلت في:

1. الميل الخاص إلى الدراسات الأدبية العربية الحديثة المعاصرة.

2. الحب الكبير لأدب المقاومة الذي يعد من بين الأنواع الأدبية تجدرًا في التاريخ وله الفضل في استنهاض همم الشعوب.
3. الشغف بأشعار "محمود درويش" الذي يعد من فحول الشعر العربي الحديث والمعاصر.

أما الدوافع الموضوعية، فقد تمثلت في:

1. جدية الموضوع واستحقاقه للبذل والعطاء، إذ أنّ الخوض فيه سينير جانبًا مهمًا ألا وهو المرأة، إذ تعد حجرًا أساسًا وركنا متينًا في بناء الأسرة والمجتمع، وطالما كانت الحضن الدافئ الذي يلجأ له الرجل وكانت مصدر إلهام الشعراء منذ الأزل، فيتغنوا بجمالها وصورها، وهذا ما أكده لنا الشاعر "محمود درويش".
2. غنى وثراء "محمود درويش" بالتصوير حتى أضحى منهجًا متبعًا في الكتابة الشعرية، يجدر بالباحث الالتفات إليه وإلى دواوينه.
3. "محمود درويش" عانى من بطش الاحتلال وجبروت الطغيان والسجن والنفي خارج الديار، وهذا ما زاد من عزيمته وإرادته في الدفاع عن وطنه، بحيث عبر بصدق في شعره عن الإنسان الفلسطيني اتجاه وطنه في مختلف همومه وآلامه وطموحاته، وكرّس حياته وأدبه لخدمة القضية الفلسطينية منذ ديوانه الأول.

وللتفصيل في هذا وضعنا خطة تشتمل على: مدخل وفصلين وخاتمة، وقائمة لأهم المصادر والمراجع.

فقد تناول المدخل، صورة المرأة والوطن في الشعر العربي بصفة عامة، من الجاهلي حتى المعاصر.

أما الفصل الأول، عالج صورة المرأة عند "محمود درويش" في أربعة مباحث، ففي المبحث الأول تطرقنا إلى دراسة صورة "المرأة الأم" ومكانتها عند محمود درويش وعلاقته بها، ثم يأتي المبحث الثاني الذي يتحدث عن "المرأة الوطن" وكيف مزج محمود درويش بين المرأة والوطن، وجعلهما قالبًا موحدًا، أما المبحث الثالث فقد عالج "المرأة الحبيبة"، جمع فيها

بين الوطن وحبيبته وفيه يبرز محمود درويش حبه لوطنه "فلسطين" والمبحث الرابع والأخير الذي تحدث عن المرأة العدوة والتي تمثل بالنسبة للشاعر رمز للحقد والكراهية.

وفي الفصل الثاني، وقفنا عند صورة الوطن عند "محمود درويش" أبرزنا فيه أهم القضايا الوطنية في الثلاثة مباحث، أولها الوطن والعفوية الذي يوضح طمس الهوية من طرف الاستعمار وضياعها في زمن الحرمان. أما بالنسبة للمبحث الثاني الذي عالج الوطن والغربة، تحدثنا فيه عن نفي محمود درويش وخروجه من وطنه اضطهادًا وقهرًا وحياته في السجن، والمبحث الثالث المعنون بالمعاناة والوطن يبرز معاناة الشعب الفلسطيني داخل وطنه.

بعد كل هذا تأتي الخاتمة لتسرد أهم النتائج التي توصل إليها البحث في خطوط واضحة تدور حول الموضوع الأم وهو «ثنائية الحرب والمرأة عند "محمود درويش"».

وقد اعتمدت الدراسة على المنهجين الفني التحليلي والمنهج البلاغي والوصفي، هما منهجين أقرب المناهج إلى طبيعة الأدب والفنون على وجه العموم.

وقد اتكأت الدراسة على مجموعة من المصادر والمراجع أهمها: دواوين محمود درويش وأعماله الشعرية، وكتاب "محمود درويش الجوهرة المؤلمة لـ"عادل محمود"، ومحمود درويش من المهد إلى اللحد بـ"محمد عبد ربه"، ومحمود درويش شاعر الأرض المحتلة لـ"رجاء النقاش".

أما الصعوبات والعوائق التي واجهتنا، فهي قلة الدراسات السابقة في موضوع المرأة والوطن، خاصة في شعر محمود درويش.

وكما أن البحث استفاد من بعض المقالات المنشورة في المجلات التي تعرض لموضوع "الحرب والمرأة لمحمود درويش"، وهناك مجموعة أخرى من المراجع التي اعتمد عليها البحث سيتم تقييدها في قائمة المصادر والمراجع.

«والله الموفق في كل الأمور».

مدخل

تعد موضوعات المرأة والموطن من أهم المواضيع المتداولة في الشعر العربي من العصور الجاهلية إلى غاية يومنا هذا، نظرا لارتباطهما بالإنسان وحياته في جميع المجالات.

فقد «حظيت المرأة العربية مكانة عالية من التقدير والرعاية والحب».[1] لأنها عماد المجتمع وأساس بنائه الصحيح، فربطت المرأة بالحب وانتشر في العصر الجاهلي موضوع الغزل الذي يتناول المرأة كمحور أساسي في مضمونه «فهذا دريد بن الصمة يحب الخنساء ويتغزل بها:

أخنساء قد هام الفؤاد بكم واعتاده داء من الحب».[2]

وكثير من الشعراء الذين كانوا يحبون ويتغزّلون لمن يحبون: كالمرقش الأكبر وعروة بن حزام، وعمرو بن كعب بن النعمان بن المنذر... وغيرهم كثير.

كما كان هناك شعراء جاهليون تغزّلوا بزوجاتهم وكأنهم حبيباتهم، فمثال ذلك زهير بن أبي سلمى تغزل بزوجته أم أوفى وبدأ معلقته في قوله:

أمن أم أوفى حمنة لم تكلم بحوماته الدّراج والمتثلِّم.[3]

وامرؤ القيس تغزل بزوجته أم جندب بقوله:

خليلي مرّابي على أم جندب لنقضي حاجات الفؤاد المعذب
فإنكما إن تنظراني ساعة من الدهر انفعني لدى أم جندب.[4]

---

[1]: أحمد محمد الحوفي، المرأة في الشعر الجاهلي، دار الفكر العربي، ط2، ص198.

[2]: المصدر نفسه، ص199.

[3]: اللمصدر نفسه، ص نفسها.

[4]: المصدر نفسه، ص نفسها.

وتغزّل حسان بن ثابت في زوجته الشعثاء:

كما ظهر هذا اللون من الشعر في العصر الأموي لما تغزّل الحارث بن خالد المخزومي بزوجته أم عمران.

وهناك أمثلة كثيرة توضّح حضور المرأة وبروزها في الشعر العربي، فقد كانت المرأة العربية أرفع مكانة من اليونانية والأوروبية والرومانية، لأن هذه الأخيرة لم تكن تنال مثل ما نالت العربية من حب وتقدير، ولم يعرف للمرأة هذا المكانة إلاّ بعد الفتوحات، ومن دلائل مكانتها الراقية الألقاب التي كان فيها تكريم وإشعار بالغزارة، «فمثلا قيس بن عاصم يقول لزوجته منفوسة بنت زيد القوارس الضبي وقد أتته بطعام، أو حاتم يقول لزوجته:

أيا ابنة عبد الله وابنة مالك وابنة ذي البردين والفرس الورد.[1]

وعروة بن الورد يقلب زوجته بأبيها العظيم:

أفلي عليّ اللوم با ابنة منذر ونامي فإن لم تشتهي النوم فاسهري.[2]

وقول عروة في مرأته سطى:

ذكرت منازل من أم وهب محلّ الحي أسفل ذي النقير
وأحدث معهد من أم وهب معرّسنا فويق بني النضير.

وقوله:

ذريني ونفس أم حسان إنني بها قبل ألا أملك البيع مشتر.

كما كان الشعراء قديما يشهدون زوجاتهم بمفاخرهم ومحامدهم ومثل ذلك قول عروة بن الورد في إشهاد زوجته على محامده:

[1]: أحمد محمد الخحفي، المرأة في الشعر الجاهلي، ص200.

[2]: المصدر نفسه، ص201.

فقد علم سليمي أن رأيي ورأي البخل مختلف شتيت
وأني لا يريني البخل رأيي سواء إن عطشت وإن رويت.

وقول أوس بن حجر:

أملم تعلمي أمّ الجلال بأننا كرام لدى وقع السيوف الصوارم؟

وقول عنترة بن شداد:

يا عبل كم من غمرة باشرتها بمثقّف صلب القوائم أسمر.[1]

كما كان للزوجة نصيب من الاعتذار إذا ما فرّ المحارب من الحرب وهو يعلم أنه خزيه وعاره، فهو يعتبر أن زوجته هي الشخص الأولى بالاعتذار والجزء المهم من حياته.

ومثال عند ذلك لما «قرّ أوس بن حجر عن بني عبس، اعتذر لزوجته مبررا فرارهُ بأن أعداءه ذو دهاء وأنه لم يفر خوفًا بل حتى لا يقتل، قائلا:

أجاعلة أم الحصين خزايةً عليّ فراري أن لقيت بني عبس
ورهد بني سهم وعمرو بن عامر وبكرا فجاشت من لقائهم نفسي».[2]

وفي مقابل ذلك كان الشعراء يهينون ويشتمون المرأة إذا كا أخطأت في حقهم فالعربي معروف برجولته وكلمته المسموعة، فلا يقبل على نفسه أن يكون إمّعة، «لذلك يقول الشنفرى لزوجته حين أبتْ أن ترضى بما أمرها:

إذا كا جئت ما أنهاك عنه ولم أنكر عليك فطلقيني
فأنت البعل يومئذ فقومي سيوطك لا أباك فإضربيني».[3]

---

[1]: المصدر نفسه، ص203.

[2]: أحمد محمّد الحوفي، المرأة في الشعر الجاهلي، ص204.

[3]: المصدر نفسه، ص206.

ومعنى ذلك أنه طلب منها تطليقه إذا رضيت مخالفته فيما نهاها عنه، فهنا أصبحت هي الرجل ومن حقها أن تؤدّبه بالسوط. كما يظهر غضب الرجل إذا ما أساءت المرأة في حقّ ابنه أو أخيه ومن ذلك أنه كان لعمرو بن شاس ابن يقال له غزار من أمة سوداء، وكانت امرأته تؤذيه وتستخفّ به، فغضب عمرو وهدّدها بالطلاق إن لم تغيّر طريقة معاملتها معه، فيقول:

أرادت عـرارًا بـالهوان ومـن يـرد عـرار العمـري بـالهوان فقـد ظلـم
وإن عـرارا إن يكـن ذا شـكيمة تقاسـينها منـه فمـا أملـك الشـيم
فإن كنتي مني أو تريدين صحبتي فكـوني لـه كالسـمن ربّـت لـه الأدم
وإلاّ فسـيري مثـل مـا سـار الراكـب تعجـل حمسـا لـيس فـي سـيره أمـم.[1]

كما تغنى الشعراء بعفّة المرأة وشرفها، فقد كانوا أشدّ القبائل حرصا على حماية شرفهم فلا رحمة ولا شفقة، فيمن انتهك حرمة الزوجة، ومن أشهر القصص التي تروي عن عقاب من انتهك الحرمات قصّة «الحارث بن عمرو إذ غزاه بن هبيرة الغساني في غيبته، فأخذ ماله ومسّ امرأته فلما سمع قتلهما، وأنشد»:[2]

كـل أنثـى وإن بـدا لـك منهـا آيـة الـود حبّهـا خيـر تعـور
إن مـن غـره النسـاء بـرد بعـد هـذا الجاهـل مغـرور».[3]

أمّا حماية الرجل للمرأة فهي من صور الرجولية التي اتسمّ بها الرجل «يقول مالك بن أبي كعب الأوسي إنّه يستعيذ بالله من أن تقول زوجته إنّه فرّ عنها، وإنّه يجود بآخر قطرة من دمه ليحميها من الأسر:

معاذ إلا لـه أن تقـول حليلتـي ألا فـرّ عنـي مالـك بـن أبـي كعـب

[1]: المصدر نفسه، ص207.
[2]: المصدر نفسه، ص209.
[3]: المصدر نفسه، ص209.

أقاتل حتى لا أرى لي مقاتلا وأنجو إذا غمّ الحيان من الركب».[1]

هذا ما يخصّ صورة المرأة في العصر الجاهلي، أمّا إذا نظرنا إلى الصورة العامّة للمرأة عند شعراء صدر الإسلام وجدناها شديدة القرب من صورتها عند شعراء العصر الجاهلي، حيث يقدمون المرأة المثال والنموذج الأفضل للمرأة، حيث نراهم يتحدّثون عن جمالها ومكانتها حتى أنّنا نجد المرأة قد ذكرت في قصائد المديح النبوي وأقوى مثال على ذلك كعب بن زهير وهو يهدر قصيدته التي تغزّل فيها بمحبوبته "سعاد":

وما سعاد غداة البين إذ برزت إلاّ أغنّ غضيض الطرف المكحول
تجلو عوارض ذي ظلم إذا ابتسمت كأنها منهل بالراح معلول.[2]

وعلى مثل هذا ذهب حسان بن ثابت وهو من شعراء الرسول صلى الله عليه وسلم، حيث يقول:

آيار التي أقرّ الفؤاد دلالها وعزّ علينا أن تجود بنائل
لها عين كحلاء المدامع مطفل تراعي نغاما يرتقي بالخمائل.[3]

فالمرأة المحبوبة يروق دلالها فؤاد الشاعر وشقّ على نفسه وتستهويه فيتغنّى بها ويشقّ على نفسه أن لا تجود بنائل.

وإذا ما انتقلنا إلى العصر الأموي والعباسي، فلا نجد تفاوت ولا اختلاف بينهم، أليست المرأة التي يتكلم عنها امرؤ القيس وطرفة بن أبي ربيعة هي نفسها المرأة التي تحدّث عنها البحتري وأبو تمام وغيرهم.

---

[1]: أحمد محمد الحوفي، المرأة في الشعر الجاهلي، ص211.

[2]: علي الطنطاوي، فكر ومباحث، دار المنارة، جدّة، ط2، 2011، ص41.

[3]: حسن عبد الجليل يوسف، المرأة عند شعراء صدر الإسلام، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2002، ص32.

أما صورة المرأة في الشعر العربي المعاصر وفي خضم حركة التحرّر أخذت المرأة موقعا مهمّا وبدأت في هذه المرحلة الشعرية تدخل بحلّة جديدة مختلفة عن تلك الصورة التقليدية التي أخذتها في الشعر العربي».[1]

فقد برز الكثير من الشعراء في هذا العصر الذين أنتجوا بغزارة أشعار عن المرأة، فقد دافعوا عن المرأة وحاولوا تخليصها من الضعف والظلم من أبرزهم نزار قبّاني الذي قال في أحد أحاديثه «قد تكون قصائدي غيرت شيئا في بنية المجتمع العربي ونسيجه، وقد تكون ساعدت المرأة في التخلص من ضعفها ودكتاتورية الذكور، فإذا اعترفت المرأة بما فعلته من أجلها فشكرا لها... وإذا لم تعترف فشكرا لها أيضا.[2]

فالمرأة أعطت الشعر الحديث والمعاصر حضورا كبيرا وكانت تلك السحابة التي تنشر طلاها عليه، فقد كانت بمثابة الدم الذي يجري في الشرايين والتي تنساب على الضلوع لتشكل قصيدا يحرك سواكن المجتمع، كما أنه في الشعر الحديث ارتبط اسم المرأة بالوطن، فقد كانت المرأة بالنسبة لهم هي قضية ورسالة ووعي بكائن بشري مظلوم... المرأة هي الوطن والحرية والديمقراطية... هي السياسة.[3]

ومن هذا يمكن القول أن المرأة حظيت بمكانة شعرية عظيمة عبر جميع العصور.

أما عن موضوع الوطن فيمكن القول أن حب الوطن يولد مع الإنسان، يعتبر أمرا فطريا ينشأ عليه الإنسان، فالوطن لم يكن يوما ارتباطا بالمكان فحسب بل كان شعور بانتماء، وتعلق بأهل، والتزام بتراب حضاري وعادات وتقاليد، إنّه باختصار هوية الإنسان وخصوصيته، فنظرا لمكانة الوطن لدى الإنسان منذ أن ولد جعله الشاعر العربي أولى وأهم المواضيع المطروحة ضمن شعره، ففي العصر الجاهلي نلتمس صورة الوطن عند شعرائنا الأوائل في الطلل، فظلت أبعاده القبلية مسيطرة حتى فترة متأخرة من الزمن إلى أن تحوّل

[1]: صلاح الدين الهواري، المرأة في شعر نزار قباني، دار البحار، بيروت، لبنان، د.ط، 2008، ص43.

[2]: عمار عكاش، صورة المرأة في الشعر المعاصر، www.alhour.org

[3]: التهامي الهاني، الوطن والمرأة في شعر نزار قباني، صامد، للنشر والتوزيه، ط2006، ط2، ص75.

تدريجيا إلى شعور عربي إسلامي، ورابط فكري، فنجد عند الشاعر للديار القديمة، ثم أرغم على الابتعاد عنها بسبب الحروب أو الجفاف والقحط، فكانت قصائدهم غالبا ما تبدأ بدعوة للوقوف على آثار الديار المهجورة، ويعتبر امرؤ القيس أول من دعا إلى هذا الوقوف في معلقته الشهيرة:

قفا نبك من ذكرى حبيبٍ ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل.[1]

وقد استعمل العديد من الشعراء هذه الصورة، فكان الشاعر يدعو خليله اختيار أحد موقفين: إمّا الوقوف على الديار الخالية، أو البكاء على بقايا الديار.

خليلي هيجا عبرة أوقف بنا على منزل بين النقيعة والحبل.[2]

كانت هذه الظاهرة في الوقوف على الأطلال، والبكاء عليها والحنين إليها واستثارة الذكريات والتهويم في مجالات التعبير الشعوري، وهي ظاهرة اتخذت حيّزا من الشعر الجاهلي وبصورة خاصّة من شعر الغزل، إذ وقف الشاعر عند بقايا منازل حبيبته ومغانيها وآثارها ورسومها، وبكى عندها حيث لم يقوى إلاّ على البكاء، إن هذه الأشعار وإنّما تغيّر عن مشاعر إنسانية، لا تعكس عواطف مجموعة معيّنة من البشر، بل جميع المشاعر المشتركة بين جميع الناس: حب الوطن والحنين له وألم فراقه... الخ، ورغم أن الشاعر في شعره إنما يعبّر عن حنينه هو، وحزنه هو، ومعاناته هو، تلك التي ترتبط بأرض معيّنة، أو بأماكن سكنه، فإنّ هذه المشاعر تلقى عندنا صدى وتأثير، فنلتمس حنينه إلى المنازل المهجورة التي عفّت ولم تبق منها إلاّ الأثافي والآثار هذا هو وطن الشاعر الجاهلي.

أما بعد ظهور الإسلام، ضعف الشعر بسبب موقف الشعراء المعادي للإسلام وموقف الإسلام المعادي للشعراء، فذبل الشعر وضعف، وتقلصت بعض أقسام القصيدة وبصورة

[1]: وهيب طنوس، الوطن في الشعر العربي من الجاهلية إلى القرن عشر ميلادي، ط1، 1976/1975، ص208.

[2]: المصدر نفسه، ص209.

خاصّة هذه المطالع المشتملة على تذكر المنازل والبكاء عليها،[1] فتراجعت مكانة الأرض وتهاون الشعراء في الحديث عنها.

أما في العصر الأموي، بدأت الجماعات المهاجرة في أعقاب الفتوحات تأخذ مكانها في الأرض، وتأخذ في حياة الاستقرار في أماكن معيّنة، فظهرت علاقة جديدة لهؤلاء المهاجرين مع الأرض وأدّى إلى إخلادهم لها بل لحياتهم الثقافية ويهتمون بماضيهم ويملون على إحيائه وبخاصة إلى شعورهم القديم، فبدأوا يذكرونه ويتذاكرونه ويرونه وحتّى بدؤوا يقلدونه، فأخذ الشعراء العرب في هذه الفترة ببدء قصائدهم بتذكر المنازل والبكاء عليها، من بينهم جرير والأخطل والكميت الذي نظم عدّة قصائد يبكي فيها الديار:

قــف بالــديار وقــوف زائــر وتــأنّ إنّــك غيــر صــاغر
مــاذا عليــك مــن الوقــوف فبهامــد الطلــين داثــر
درجــت عليهــا الغــادرا ت الرائحــات مــن الأعاصــر.[2]

أما في العصر العباسي ظهر نمط ثقافي جديد فثاروا ضدّ التقليد وحاولوا الابتعاد عن المواقف الطلية فتغيّر ظروف الحياة العربية ظهور حضارة جديدة، فكان بالنسبة لهم من المضحك العودة إلى الصحراء والتحدّث عنها، وإلى منازلها وخيمها.

وبعد هذه المراحل أخذ الشعر الوطني في تطوّر بسبب ما شهدته البلاد العربية من تطوّر وازدهار في العمران وغدا الوقوف على الأطلال جزءًا من النفس البشرية العربية، وبات كل مكان يحلّ فيه الشاعر هو وطن له. ولعلّ هذا الشعور تعمّق بعد خضوع الوطن العربي لسيطرة الاستعمار، فقد ترك هذا الاحتلال جرحًا نازفا في قلب وروح كل عربي، مما جعل كل ارتباط قلبيّ يتحوّل بشكل تلقائي إلى ارتباط قومي وبات كل انتماء يتشعّب لشمل كل الشعب العربي.

[1]: وهيب طنوس، الوطن في الشعر العربي، ص191.

[2]: المصدر نفسه، ص194.

فبعد تغلغل أيادي الاستعمار في كل شبر عربي اضطرّ أبناء الوطن إلى الهجرة والابتعاد عن الوطن، مما أدّى إلى استعادة المشاعر الوطنيّة في القلوب حتّى تحول الوطن في عيونهم إلى جسد إنساني متجرّد من كل الصفات الماديّة، فهو الوطن الساكن في القلب والمجاور للروح، والذي يقدر ما يقدم من مشاعر دافئة وحنان للمغترب إلاّ أنّه يعدّ به ببطء لشدّة الحبّ والحنين ولوعة الفراق، فقد عبّر عن هذا السياب:

وما وجد ثكالي مثل وجدي إذا الدجى تهاوين كالأمطار بالهم والسهد
أحن إلى دار بعيد مزارها وزغب جياع يصرخون على بعد
و أشفق من صبح سيأتي و أرتجي مجيئا يجلو من اليأس والوجد.[1]

فقد عرف العرب بكثرة حبّهم وحنينهم لأوطانهم حتّى أن الجاحظ يقول في رسالته الحنين إلى الأوطان: «كانت العرب إذا غزت أو سافرت تحملت معها من تربة بلدها رملا وعفرا تستنشقه».

فمهما سكن الإنسان الدور والقصور فإنّ ذلك لن ينسيه وطنه، فهذه ميسون بنت بحدل خطبها أحد الخلفاء فتركت وطنها بادية الشام ورحلت إلى المدينة، حيث العيش الرغيد لكنها لم تطق فراق وطنها فقالت:

لبيت تخفق فيه الأرواح أحبّ إليّا من قصر منيف
فما أبغي سوى وطني بديلا وما أبهاه من وطن شريف

فلما سمعها زوجها طلقها لتعود لوطنها.

وتتفتح صورة الوطن في الشعر العربي الفلسطيني ليصبح جسدًا شديد القرب ونقطة تفجير للخيال الشعري، إنها صورة الوطن المحمول في القلب.

[1]: ستار جبار رزيج، الوطن في نتاجات الرمق الأخير في شعر السياب، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، المجلد 8، العدد 4، 2009، ص20.

يقول محمود درويش في قصيدته (مديح الظل العالي):

أعطيتني وأخذت من عمري، كم سنة
وأنا أسميك الوداع، ولا أودع غير نفسي كم سنة
فعدوك بالآتي وحين أتاك الحنين إلى السفينة كم سنة.[1]

غير أنّ التحول الجذري لصورة الوطن في الشعر العربي يأخذ رمز المرأة، فالشاعر هنا يختزل كل شيء في تجربته وتجربة شعبه، حيث تشترك فيها الأرض بوضعها جسدا بعيدا والمرأة بوصفها حلما قريبا، وتذوب فيه التفاصيل بين المحبوبة والوطن، يقول الشاعر نزار قباني: «الوطن بالنسبة لي ليس فقط الوقوف على الأطلال أو الجسد أو المحبوبة فهو الروح وجزء من النفس البشرية بشكل عام وليس فقط بالنسبة للعرب.

فقد استطاع شعراؤنا أن يهذّبوا قصائدهم بالمعاني الوطنية والقومية والإنسانية، فكانت أمًّا وحبيبة وصديقة ووطنا وأرضا، ولم يكن هناك أجمل من أن تكون المرأة وعاءًا للتعبير عن حبّ الوطن، فالشاعر يعتبر المرأة رمز الدفء والأمان والملاذ، والمكان الذي يعزّ عليه أن يفارقه لأنه لو فارقها شعر أن الحزن يسكن عظامه لذلك كانت له وطنا.

[1]: محمد فؤاد ديب اللسلطان، صورة النكبة في شعر محمود درويش، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد العاشر، ع1، 2002، ص188.

الفصل الأول:

صورة المرأة

في شعر محمود درويش

تحتل المرأة عند محمود درويش مساحة واسعة من خطابه الشعري، إذ تمثل بحكم ترددها في قصائد المحور الدلالي الثالث بعد محوري الأرض والنبات، وهذا يعكس بشكل أو بآخر علاقة درويش بالمرأة سواءً كانت علاقة سلب أو إيجاب.

وفي الواقع إنّ الأمر ليس مكانة متميزة في وجدان الشاعر العربي منذ امرئ القيس، وقيس بن الملوح، وعمر بن أبي ربيعة، وكثير عزة، وبشار بن برد وأب نواس، وابن خلدون، وحافظ إبراهيم ونزار قباني، ومحمود درويش وغيرهم، وهذا الاهتمام إنما ينبع من اتخاذه المرأة معادلة موضوعية لأحاسيسهم المتلهفة ووجداناتهم وشعورهم بثقل القيود الاجتماعية التي تحدّ من حريتهم وعلاقتهم بالمرأة، فإذا كان الشاعر لا يستطيع أن يبوح بأحاسيسه ومشاعره علانية في العالم الخارجي، فإنّه يبثها في عالمه الشعري من خلال تناوله المرأة المعشوقة، فكثيرا ما تتحدّد عنده المحبوبة والوطن،[1] كي يحدث ذلك توازنا بذلك توازنا نفسيا داخليا تعقبه راحة وشعور باللذّة، ومحمود درويش ليس بدءًا من الشعراء، بل هو واحد منهم رأى في المرأة ما رآه الآخرون.

ولكن من يتتبع معاني الحب والعشق عند درويش وعلاقته بالمرأة انطلاقا من شعره، نجد أن الشاعر قد صبغ خطابه بلون خاص يميزه عن غيره من الشعراء في تعامله مع المرأة.[2]

ولكي تقترب أكثر من عالم محمود درويش الشعري وخاصّة موضوع المرأة، فإنّنا نحد علاقته بها في محاور خمسة هي:

المرأة الأم، المرأة الوطن، المرأة الحيوية، المرأة الأخت والمرأة العدوة.

[1]: بايزيد فاطمة الزهراء، رهيوي سليم، صورة المرأة في ديوان الشاعر لمحمد جربوعة، مذكرة نيل شهادة ماستر، كلية اللغة العربية وآدابها، جامعة خيضر، بسكرة، الجزائر، 2015/2014.

[2]: محمد عبد الهادي، تجليات رمز المرأة في شعر محمود درويش،

المبحث الأول: المرأة الأم

إن علاقة محمود درويش بأمّه علاقة تفيض بالحب والمشاعر والأحاسيس الوجدانية إلى حدّ نجد فيه علاقته بأمه من خلال شعره تفوق علاقته بأبيه، وإخوته وأخواته، على الرغم من علاقته بها في سن الطفولة تكاد تكون على عكس ذلك من وجهة نظره، حيث لم يدرك عمق هذه العلاقة وحاجته إليها، إلا عندما أودع في السجن وهو في سن الرابعة عشر من عمره، حيث شعر بحاجته إلى دفء الأم وحنانها في لحظات مشبعة بالحقد والكراهية، تلك التي عاشها في سجن المحتّل، ومهما يلاحظ أنّه كلما أمعن الشاعر في البعد المكاني عن أمّه ازداد حنينه إليها وشوقه لسماع صوتها واستحضار مفاجآت الحياة التي ارتبطت بها إلى حد أصبحت بالنسبة له هي كل شيء، وأصبح هو بالنسبة لها الابن المدلل والمهذب الذي يحتاج إلى مزيد من الحب والرعاية، ومهما يلفت النظر أن الشاعر عندما يتحدث عن المرأة الأم يكون أقرب إلى الواقع والحقيقة من الخيال الشعري، لا يذكرها حتى يذكر المشاهد الحياتية التي ارتبطت بها والتصقت بذاكرته منذ نعومة أظافره، فيقول:

أحنّ إلى خبز أمّي
وقهوة أمي
ولمسة أمي
وتكبر في المقولة
يوما على صدر يوم
وأعشق عمري لأنّي
إذا مت
أخجل من دمع أمي
خذيني إذا عدت يوما،
... وغطي عظامي بعشب[1]
يعتمد على ظهر كعبك

[1]: محمد عبد ربّه، محمود درويش من المهد إلى اللحد، دار يافا، ص201.

وشدي وثاقي
بخصلة شعر
بخيط يلوح في ذيل ثوبك.[1]

تعتبر قصيدة "أمّي" رغم بساطتها وسهولة ألفاظها وسلاسة لغتها الغريبة من القارئ والمستمع، تحمل بعدا دلاليا وإنسانيا عميقا، فمحمود درويش استطاع في هذه القصيدة (وهي من إبداعاته الأولى، فقد ظهرت في ديوانه "عاشق فلسطين" الذي صدر سنة 1966م في شباب الشاعر) أن يحقق المعادلة الصعبة المستعصية على العديد من الشعراء، المعادلة المتمثلة في اقتران البساطة بالعمق، واندغام السهولة في الفنية العالية، وتحقق الاستجابة لذوق القارئ المتلقي.

إن الحديث عن الأم بهذا الشكل، هو حنين إلى الوطن، وأيام الصبا الحلوة التي قضاها في ربوعه، والأم هنا رمز للصبر والحب والعطاء والخوذ والديمومة والحنان والفياض، وهي تمثل في نظر الشاعر الوطن المسلوب الجريح. فأول ما نلاحظه في هذه القصيدة أن معجمها الدلالي ملتقط من جزئيات الحياة اليومية الفلسطينية، خبز الأم، قهوتها، الطفولة، خصلة الشعر،... الخ.

لكن هذا المعجم المعبر عن تفاصيل الحياة، توازيه وتحكم ألفاظه وتجعل تعابيره مشعة، لا تفوق الفهم، بل تزيد الشعر إشراقا وسطوعا، دون إغراق في التصوير الغامض، تكبر في الطفولة، أعشق عمري أخجل من دمع أمي، خذيني وشاحا لهذبك عشب تعمد، قرارة القلب، لقد كانت عبارات القصيدة عذبة جميلة سهلة سلسلة، إلاّ أنها موحية، مفعمة بالمعاني العميقة والدلالات ذات البعد الإنساني الشقيق، عبارات مصاغة بشكل فني رهيف، يسهم في أحداث التأثير المأمول في القارئ.[2]

[1]: محمد عبد ربّه، محمود درويش من المهد إلى اللحد، دار يافا، ص201.

[2]: محمد عبد الهادي، تجليات رمز المرأة في شعر محمود درويش، ص504.

احتلت الأم مكانة مرموقة في ديننا الإسلامي الحنيف، وتوصى بها الله ورسوله خيرا، في قوله تعالى: ﴿**وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ۚ**﴾،[1] وقال رسول الله عليه الصلاة والسلام في حديثه الشريف: «**الجنة تحت أقدام الأمهات**».[2]

واحتلت مكانا عاليا في نفوس الشعراء، فأبدعوا فيه، إلاّ أن "محمود درويش" كان متميزا أكثر من غيره من أبناء جيله من الشعراء، إن قصيدة (إلى أمي) نموذج رائع للشعر، وهي نشيد مؤثر لعلاقة طفل كبير بأمه، وكل ما يتصل بتلك العلاقة من مشاعر إنسانية عالية، والسمو في صياغة جميلة ودلالة معنوية رائعة، إن موضوع الأم رغم ذيوعه وتداوله، يشير في نفس القارئ، مزيجا من مشاعر الحنان والمحبة، والعواطف الإنسانية الجياشة المرتبطة بالأمومة.[3]

والياسمين اسم أمي: قهوة الصبح
الرغيف الساخن، النهر الجنوني، والأغاني
حين تتكئ البيوت على المساء
أسماء أمي[4]

فمن خلال هذا المقطع بين الشاعر حياة الهدوء التي كانت تعيشها فلسطين وحياة البساطة، قوة الصبح، رغيف الخبر فهو يحن لتلك الأيام رغم بساطتها.

وفي قصيدة أخرى يقول:

أماه ... يا أماه
لمن كتبت هذه الأوراق

---

[1]: سورة الأحقاف، الآية 15.

[2]: الحديث الشريف.

[3]: محمد عبد الهادي، تجليات المرأة في شعر محمود درويش، ص07.

[4]: محمود درويش، الديوان، دار العودة، بيروت، 1993م، ص566.

أي بريد ذاهب يحمل؟
سرت طريق البر والبحار والآفاق
وأنت يا أماه[1]

فالأم عند درويش تعني له الحب المفقود والملاذ الذي يلوذ إليه عند الشعور بالحرمان أو قسوة الحياة، فيرى في استحضار صورتها خلاصا من الشعور بالوحدة والضياع والغياب، إن أم درويش التي حبها لا يعادل حب أحد في الدنيا، هي الجزء المهم والرائع من حياته والجانب المشرق في تاريخه.

[1]: محمود درويش، مصدر سابق، ص39.

المبحث الثاني: المرأة الوطن

إن المزج بين المرأة والوطن في شعر محمود درويش، يمد تجاربه الفنية بنفس عاطفي، حيث تتحول القصيدة إلى لوحة فنية يتميز فيه الحب بالوطنية، ويمتزج صورة الفتاة أو المرأة، فلا يستطيع أحد أن يفرق بين عاطفة الحب نحو الفتاة أو الأم، وبين عاطفة الحب نحو الأرض والوطن.[1] يقول محمود في قصيدته:

وطني ليس حقيبة
وأنا لست مسافرا
إني العاشق والأرض حبيبة.[2]

فكثيرا ما تتحدد عنده المرأة بالوطن أو بالأخص الحبيبة والوطن، فالحديث ظاهريا يتجه نحو المرأة لكن ما إن تتعمق الدلالة حتى ترسوا على قاعدة صلبة هي حب الوطن.[3]

فالمحبوبة في أغلب قصائده هي فلسطين، بالنسبة له هي الأم والمحبوبة والأخت، هي كل شيء في حياته حتى لقب بمجنون التراب، إن عملية المزج بين المرأة والوطن، هي ظاهرة بارزة عند المحدثين، لكن محمود درويش عمّق عملية التمازج، وبلغ الذروة فيه، ومن ذلك قوله:

الأرض أم أنت عندي، أم أنتما توأمان
سيان، سيان... عندي
إذا خسرت الصديقة فقدت طعم السنابل
وإن خسرت الحديقة ضيعت عطر الجدائل
وضاع حلم الحقيقة.[4]

---

[1]: محمد عبد الهادي، تجليات رمز المرأة في شعر محمود درويش، ص03.

[2]: المرجع نفسه، ص04.

[3]: محمود درويش، الأعمال الأولى، رياض الريس للكتب والنشر، ط.ج، 2009، ص193.

[4]: المصدر نفسه، ص194.

لقد رسم محمود درويش صوّر الوطن وملامحه كما لو أنّه يصف ملامح المرأة، دون أن يترك لنا مجال للشعور بمفارقة بينهما، فالنقاط التي تلتقي تتشابه فيها المرأة بالوطن، فكل منهما رمز للعطاء والنماء، ورمز للحياة والأمان والاستقرار، جعل عملية المزج بينهما متوافقة، فالخروج من رحم الأم هو دخول لرحم الوطن، وهما الوعاء الذي تنمو فيه بدور الحياة،[1] فالمرأة عند درويش تحمل قيم الشرف والقداسة، لذلك تمثل عنده الوطن يلجأ إليها عند شعوره بلوعة الغياب والضياع، وعدم القدرة على العودة، فهو يخاطب الأرض والوطن، كما يخاطب المرأة المعشوقة وتصبح المرأة قناعا يفرغ من خلاله كل مشاعر الشوق والحنين، والحب تجاه وطنه وأرضه، فنراه يقول:

فلسطينية العينين والوشم، فلسطينية الاسم
فلسطينية الأحلام والهم، فلسطينية المنديل،
والقدمين والجسم
فلسطينية الكلمات والصمت، فلسطينية الصوت، فلسطينية الميلاد والموت
حملتك في دفاتري القديمة.[2]

فإن كانت تجربة درويش تعتمد على ثنائية الأرض والمرأة وتقديسها باعتبارهما مصدرين للحياة، فإن هذا التقديس دفع الشاعر لأن يتغنى بخطاب المرأة إمعانا في تقديس أرضه ووطنه، فإذا كانت الأرض عنده مقدسة وهي في الواقع مستباحة من قبل المحتل الصهيوني، فإنّ وسيلته في مقاومة هذا الانتهاك، تجلت على مستوى المزج بين المرأة والوطن، بحكم أن المرأة تظل عفتها وعرضها بعيدا عن أي انتهاك في عرف الإنسان العربي. وإذا كانت المرأة في المجتمع تكسب قداستها حاملة لقيم الشرف عند الرجل، فإنها عند درويش مقدسة لأنها تمثل عنده الوطن، فحب الشاعر لوطنه لا يصل إلى حد الاشتهاء والرغبة، بل يصل إلى درجة التصوف، حيث يموت على وطنه ويجد في عذابه وموته لأجلها لذّة لا تنتهي، يقول في ذلك:

---

[1]: بايزيد فاطمة الزهراء، رهيوي سليم، صورة المرأة في ديوان الشاعر لمحمد جربوعة، ص29.

[2]: محمود درويش، الأعمال الأولى، ص93.

إن ثلاثة أشياء لا تنتهي
أنت والحب والموت
فكوني امرأة وكوني مدينة.[1]

هذا العشق للوطن يتسم بالصدق والديمومة المستمرة،[2]ومن هنا فقد تميز محمود درويش في إعطاء المرأة مكانة خاصة تسمو بها، وأخرجها من البعد الجسدي وجعلها الرمز المقدس الذي هو الوطن، وكان هذا الحب أسمى أنواع العشق والحب ربط فيه بين المرأة باعتبارها الأرض والحرية والخصوبة والحنان والعفة.[3]

فكانت المرأة في شعر درويش تحضر بشكل مغاير للشعراء الذين تناولوا المرأة على أساس أنها أنثى تتجلى فيها صورة العاشقة الرقيقة الناعمة ذات المواصفات والجمال، غير أن محمود درويش وظفها رمزا قيما للتعبير عن الوطن، وربّما يرجع ذلك إلى تلك الظروف التي عاشها في الاحتلال، فمن هنا فإن المرأة تمثل شيئا مقدسًا بالنسبة له، فهو الشاعر الذي تمسك بأرضه وأحبّها حتى الموت، وكرس وطنه في سبيل الدفاع عنها، وكان من الطبيعي أن تكون الأرض هي الأم والحبيبة، والأنثى التي منها ولد وإليها يعود.

لقد ربط "درويش" بين المرأة والوطن، من خلال مقدرة (قالب) شعرية مبدعة، فلما نجدها عند شاعر آخر، فأنشد للوطن والقضية والحب والحرية والسلم والمرأة، وللهموم الإنسانية الذاتية، دون التفريط في جمالية التعبير وفنية الصياغة:

عيونك شوكة في القلب
توجعني... وأعبدها
وأحميها من الريح
وأغمدها وراء الليل والأوجاع... أغمدها

---

[1]: محمد صلاح أبو حميدة، المرأة في شعر محمود درويش، 10/02/2015, 10h30 www.arab48.com

[2]:

[3]: بايرزيد فاطمة الزهراء، رهيوي سليم،

فيشتعل جرحها ضوء المصابيح
ويجعل حاضري غدها
أعزّ عليّ من روحي.[1]

وارتباطه بالوطن ورائحته في أشجاره وأسماءه المقدسة وأماكن مغره، فيظّل حنينه وحبّه لوطنه وأمل العودة إليه، تتجسّد في شدّة التصاقه بالقدس التي اقترب منها كثيرا مستخدما رموزا تاريخية شديدة الارتباط بتاريخ وطنه، فيخاطب الشاعر وطنه يضنيه الشوق والحنين، فيموت شوقا واحتراقا وذبحا وموتا، لكن حبّه لوطنه لا يموت، فقد كان محمود درويش شديد التعلق بقدسه وإصراره وصلابته وتحديه الموت من ناحية.[2]

أموت اشتياقا
أموت احتراقا
وشنقا أموت
ودبحًا أموت
ولكنّني لا أقول:
مضى حبّنا وانقضى
حبّنا لا يموت

وهذا يؤكّد مدى تمسكه بأرضه وحنينه لها، رغم شتى أنواع الظلم والقهر الذي تعرّض له عندما شرد من أرضه وأصبح لاجئًا، فأصبحت هذه المعاناة جرحا فلسطينيا ثائرًا.[3]

[1]" محمد عبد ربه، محمود درويش من المهد إلى اللحد، دار يافا العلمية للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، ط1، 2009، ص196.

[2]: محمد فؤاد ديب السلطان، صورة النكبة في شعر محمود درويش، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد العاشر، العدد 1، 2002، ص176.

[3]: المرجع نفسه، ص177.

المبحث الثالث: المرأة الحبيبة

تمثل المرأة الحبيبة (المعشوقة) عند الشاعر، تجربة الحب الأولى التي استيقظ عليها في بواكير كتابته الشعرية، والمتتبع لعلاقته بالمرأة المعشوقة يرى أن العلاقة بينهما غير متكافئة، فحين تبدو المحبوبة حريصة على دوام العلاقة والتضحية من أجلها... ترى الشاعر يقف في موقف اللامبالي، أو غير المكترث بتلك العلاقة، مما يشير إلى أن حبّه للمرأة لم يتجدر في وجدانه، ولم يربطه بها سوى علاقات حسيّة تنتهي بانتهاء اللحظة العاطفية التي تجمع بينهما، لذلك لا نجد عنده معاني البكاء والهيام، ومثال ذلك قوله في قصيدة قراءة في وجه حبيبي:

وحين أحدّق فيك
أرى مدنا ضائعة
أرى زمنا قرمزيا
أرى سبب الموت والكبرياء
أرى لغة لم تسجّل
وآلهة تترجل
أمام المفاجأة الرائعة.[1]

فعلاقته بالمرأة لم تبلغ العشق المتبادل، وإنّما هي علاقة تعكس نزوة من نزوات الشاعر ترافق سن الصبا والمراهقة، وهو الوقت الذي نظم فيه الشاعر أغلب قصائد الحب، في ديوانه الأول "عصافير بلا أجنحة"، وهذا ما أكّده شاعرنا المرحوم "توفيق زياد" عندما قال: «إن محمود درويش في حبّه لا يعرف الذل، أو التزلّف»،[2] إنه ليس عاشقا من أصحاب الدموع الغزيرة والشكوى المتواصلة المريرة.

[1]: محمود درويش، الأعمال الكاملة الأولى، رياض الريس للكتب والنشر، ط.ج، 2009، ص310.

[2]: رجاء النقاش، محمود درويش شاعر الأرض المحتلة، دار الهلال للنشر والطباعة، ط2، 1971، ص207.

فبالرغم من تعدد مفردات الأنثى في قصائده مثل: دلال، فيروز، أمينة، سونا، ليلى، ريتا، هاجر... الخ، يتّم عن تجارب عاطفية خالصة، انخرطت فيها الأنا مع الآخر، وإنما يشير إلى مواقف سياسية ووطنية وعاطفية استجلاها الشاعر من خلال تعامله مع مفردات المرأة، أو بعبارة أخرى، أن كثيرا من أسماء المرأة التي وردت في شعره هي بمثابة أقنعة يخفي الشاعر وراءها رؤية سياسية، فلا تستطيع أن تعكس تجربة حب ناضجة بين الشاعر ومحبوبته، ولا وجود لصفات جسدية أو معنوية، متكاملة لشخصية واحدة، فورود الأنثى في نص شعري يأتي غالبا مرتبطا بموقف مأساوي، بحيث ينتمي دور الأنثى بانتهاء ذلك الموقف، مثال ذلك في قوله:

عاشق يأتي من الحرب إلى يوم الزفاف
يرتدي بدلته الأولى
ويدخل حلبة الرقص حصانا
من حماس وقرنفل
وعلى حبل الزغاريد يلاقي فاطمة
وتغني لهما
كل أشجار المنافي ومناديل الحداد الناعمة.[1]

فلم تكن فاطمة سوى الفتاة الفلسطينية التي تنظر بفرح لحظة اللقاء بعريسها، أو التي ترمز إلى انتظار الفلسطيني للحظة اللقاء بوطنه، فالعرس لم يكن عرسها بهيجا لالتقاء المحبّين، بل كان عرسا لوداع أحد الطرفين، وهو العاشق:

هذا هو العرس الفلسطيني
لا يصل الحبيب إلى الحبيبة
إلاّ شهيدا أو شريدًا[2]

[1]: محمود درويش، عاشق من فلسطين، دار العودة، بيروت، ط1، 1977، ص53.

[2]: المصدر نفسه، ص32.

وهكذا، فإنّ فاطمة لم تأت لتمثل تجربة خاصة مع الآخر، وإنما جاءت رمزا لحركة أكبر وأشمل تمثل حياة الشعب الفلسطيني في شكلها المأساوي، فتجربة الحب عند محمود درويش لم تشغل سوى صفحات معدودة بالنسبة لإنتاجه الشعري الضخم أكثر من اثنين وعشرون ديوانا، وقد توقفت تلك التجربة عند مرحلة معينة هي مرحلة التجريب الشعري التي تأثر فيها بشكل خاص بالشاعر السوري نزار قباني... استيقظ الشاعر بعدها ورفضها ليدخل مرحلة شعرية جديدة، ولكن هذا لا ينفي أن الشاعر محمود درويش عاش تجارب حب في حياته في صحيفة المستقبل 8 تموز 2007، صرّح أنه عاش قصص حب، قائلا: «كل ما أكتبه في الحب أم في سواه، ناجم عن تجارب حيّة»، وأجاب عن السؤال الذي وجّه له من قبل الصحفي: هل هناك امرأة معيّنة كتبت عنها أولها؟ قائلا: «... ربما ولكن ليس كما يعبّر عنها شعري، لأنك إذا بدأت في كتابة قصيدة حب لا يمكنك أن تكتب عن المطلق في الحب، أنت تكتب عن امرأة معينة، لكن الكتابة تأخذ مجرى يخرج من سياق حادثة الحب، حينذاك تختلط ملامح المرأة التي تكتب عنها بملامح امرأة أخرى، أن تكون لدي امرأة مثل "إلسا" حبيبة أراغو فهذا صعب...».[1] فقد اتخذ محمود درويش شكلا مغايرا لعلاقته بالمرأة، فهو إن كان يبدو متعاليا متجاهلا لمشاعر المرأة في مرحلة ما، فإنه في مرحلة أخرى يبدو أكثر خضوعًا وأشد تعلقاً بالموضوع، فمحمود درويش شاعر عاطفي بالمعنى العميق وهو شاعر تنبع موهبته من محبة الحياة وعشق الجمال، وليس شاعرا نبعت موهبته من "الكراهية"، فهو يعبّر عن عاطفة الحب تعبيرا جديدا ومتنوعا، إنه عاشق من درجة الأولى إن صح التعبير...[2] فعاطفة محمود درويش ليست عاطفة مجردة، لأنها ترتبط كل الارتباط بالقضية التي يعيش معها، والحب في شعره زهرة يحيط بها الكثير من الأشواك.

[1]: محمد عبد ربه، محمود درويش من المهد إلى اللحد، دار يافا العلمية للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، ط1، 2009، ص150.

[2]: رجاء النقاش، محمود درويش شاعر الأرض المحتلة، ص193.

يقول محمود درويش لحبيبته في قصيدة عنوانها "قصائد عن حب قديم":

تشهيت الطفولة فيك
منذ طارت عصافير الربيع
تجرد الشجر
وصوتك كان، يا ما كان[1]
يأتيني من الآبار أحيانا
وأحيانا ينقطه لي المطر
نقيا هكذا كالنّار
كالأشجار... كالأشجار ينهمر.[2]

وحتى وإن لم يكن محمود درويش قد عاش تجربة حب إلاّ أنه عبّر عن عاطفة الحب بصورة جديدة، غنية بالدفء والصدق...، يقول في قصيدته التي أراد من خلالها أن يصوّر لنا صوت حبيبته:

وصوتك كان يا ما كان
يأتيني من الآبار أحيانا
وأحيانا ينقطه المطر

فصوتها أتية من كل ممتزجا بكل مظاهر الطبيعة، وعندما يريد أن يصور لحظة من لحظات حبّه، لا ينسى أنّه وحبيبته يعيشان في ظروف قاسية،[3] ولذلك فالحب عنده مرتبط كل الارتباط بوطنه، وهذا الارتباط لا يقلل من الحب، بل يجعله عميقا ومؤثر إلى أبعد حد، فهو في النهاية حب محروم، فليس في حياة الأرض المحتلة فرصة طبيعية للحب الناجح،

[1]: رجاء النقاش، محمود درويش شاعر الأرض المحتلة، ص194.
[2]: المصدر نفسه، ص195.
[3]: المصدر نفسه، ص196.

فالحب بالنسبة لهذه الحياة الصعبة القاسية هو مصدر الأمل الوحيد، وفي قصيدته هذه حوار بين الشاعر وحبيبته، يقول فيها:

عندما كنت صغيرا وجميلا
كانت الوردة داري
والينابيع بحاري
(صارت الوردة جرحًا والينابيع دماء)
هل تغيرت كثيرا؟
ما تغيرت كثيرا
عندما ترجع كالريح، إلى منزلنا
حدقي في جبهتي
تجدي الورد نخيلا
والينابيع عرق
تجديني مثلكما كنت
صغيرا وجميلا.[1]

ومحمود درويش كثيرا ما يمزج بين "الحبيبة" و"الوطن"، ويجعل منهما شيئا واحدا، كثير ما يتحدث عن الحبيبة ثم يقوده الحديث إلى فلسطين وجرحها وأحلامها، فكل لحظة حب يحس بها نحو فتاة هي في نفس الوقت لحظة عاطفة من أجل الأرض المجروحة، لأن الحبيبة دائما تذكره بالوطن، بل إن الحبيبة هي الوطن:

ما الذي يجعل الوطن
بين عينيك أجملا؟
والأساطير والزمن
تتمناك منزلا؟

[1]: المصدر السابق، ص196.

أنت عند أم الوطن
أم أنا الرمز فيكما.[1]

فهو هنا يمزج مزجا فنيا جميلا بينه وبين الحبيبة والوطن.

وفي قصيدته "عاشق فلسطين"، يرسم لنا صورة لحبيبته:

... كنت جميلة كالأرض... كالأطفال... كالفل
وأقسم من رموش العين سوف أخيط منديلا
وأنقش فوقه شعرا لعينيك

فالحبيبة عنده هي الوطن، والوطن هو الحبيبة.

لقد أبدع محمود درويش في ربط الوطن بالمرأة، وخاصة الحبيبة وهذا ما أفصح عنه في قصيدة "النزول من الكرمل".

تركت الحبيبة لم أنسها
تركت الحبيبة
تركت...
أحب البلاد التي سأحب
أحب النساء اللواتي أحب
ولكن غصنا من السرور في الكرمل الملتهب
يعادل كل حضور النشاء
فكل العواصم
أحب البحار سأحب
أحب الحقول التي سأحب[2]

[1]: المصدر نفسه، ص197.

[2]: محمود درويش، الديوان، دار العودة، بيروت، 1993م، ص572.

ويقول في موضع آخر:

خذيني لوحة تحت عينيك
خذيني لوحة زيتية في كوخ حشرات
خذيني أية من سفر مأساتي[1]

فهنا تكرار فعل "خذيني" فيه دلالة واضحة على مدى احتياج درويش لوطنه السليب.[2] كما ربط محمود درويش بين الحب والوطن، وجعل أصدق مشاعر الحب هو الحب اتجاه الوطن في صورة المرأة، فكان ذلك التصوير أجمل وأعتق، يقول في ذلك:

الأرض أم أنتي عندي
أم أنتما توأمان
من مد للشمس زندي؟
الأرض، أم مقلتان؟
سيان، سيان... عندي

أو يقول:

وطني جبينك فاسمعيني
لا تتركيني
خلف السياج
كعشبة برية
كيمامة مهجورة
لا تتركيني[3]

[1]: المصدر نفسه، ص84.

[2]: محمد عبد الهادي، تجليات رمز المرأة في شعر محمود درويش، ص05.

[3]: محمد صلاح أبو حميدة، المرأة في شعر محمود درويش، 10/02/2015, 10h15 www.arab48.com

يصور محمود درويش من خلال قصيدته عن مذبحة كفر قاسم، عاشقا يعود إلى حبيبته بعد قتل من قبل اليهود، فهو بذلك يصور لنا كيف يموت الحب وكيف تموت الحياة على يد إسرائيل، عندما يقول بلسان العاشق المقتول:

لك مني كل شيء
لك ظل لك ضوء
خاتم العرس، وما شئت
وحاكورة زيتون وتين
وسأتيك كما في كل ليلة
أدخل الشباك في الحلم، وأرمي لك فلّة

إنها صورة رائعة للحب المقتول، والحب هنا رمز للحياة المقتولة والوطن المسلوب.

ففي شعر محمود درويش ليس الحب في الأرض المجروحة المغتصبة عشر يأويه أو بيت يضم العاشقين بين جناحين دافئين، وما يلاحظ في حديث درويش عن الحبيبة التفاته الكبير إلى وصف العيون، وهو يتوقف عندها كثيرا، فالشاعر العاشق يشكر بالحرية كلما نظر إلى عيني حبيبته، لأنها بالنسبة له وطن وطمأنينة وعش جميل يختبئ فيه عصفور قلبه من عواصف الأيام وأحزان الزمان.

حبّنا أن يضغط الكفّ على الكف، ونمشي
وإذا جعنا تقاسمنا الرغيف
في ليالي البرد أحميك برمشي
وبأشعار على الشمس تطوف.[1]

[1]: رجاء النقاش، محمود درويش شاعر الأرض المحتلة، ص200.

الفصل الثاني:

الوطن

في شعر محمود درويش

كان الشاعر محمود درويش يكتب القصيدة بدم وعرق ونبض، لتكون على قدر الحب الذي يشعر بع اتجاه أرضه.

حين نقترب من مسافة العشق في حديث الشعر الفلسطيني المقاوم عن فلسطين، نتعرف مباشرة على صورة نابضة من صور الحب التي لا تبتعد عن الكتابة بالدم والعرق والقلب. وطبيعي أن تكون الأرض في شعر فلسطين المقاوم، أكثر غليانا من أي موضوعية يمكن أن تخطر على البال، ذلك أن تكوين الشخصية الفلسطينية المقاومة، لا يمكن أن يبتعد عن معنى وملامح وامتداد الأرض في كل جزء من التكوين الإنساني... فالأرض هي الفلسطيني، والفلسطيني هو الأرض والملمح ظاهر بوضوح أمام كل عين.[1]

كان طبيعيا أن يكتب محمود درويش في الشعر الفلسطيني المقاوم عن الأرض بكل الحب والعشق والتلاحم إلى حد التداخل مع كل حبة تراب، وبهذا ما كانت القصيدة بعيدة أو غريبة عن خط سير القصيدة المقاومة خلال السنوات الماضية، وتجدر الإشارة إلى أن موضوع الأرض ذات ملامح مشتركة ومتفاوتة إلى حد بعيد في القصيدة المقاومة، فكانت الأرض على الدوام قوية الملامح، شديدة الحضور، رائعة النبض والتوهج.[2]

[1]: محمود درويش، شيء عن الوطن، ط1، دار العودة، بيروت، 1971م، ص237.

[2]: ياسين أحمد فاعور، الثورة في شعر محمود درويش، دار الطباعة للنشر، سوسة، تونس، ط1، ص31.

المبحث الأول: الوطن والهوية

الأرض في دفتر العشق بلسم الروح، والأرض في دفتر القلب من أروع الأمنيات، ودائماً يفتح الشاعر كل صنابير القلب لتعبر عن علاقته بحبيبة أولى رائعة هي الأرض. وحين تحاول الحبيبة أن تهمس في أذنه كلمات العشق، تراه في آلية وجده حبيبا يضم كل موجودات الطبيعة إليه، ليكون كل شيء فيها جزءاً من قلبه.

هنا تبرز الأرض الفلسطينية لتقول كلمتها حين يسجل العاشق الفلسطيني روعة حبه لأرضه، ودفقة عشقه التي لا تعرف الحدود، يبدأ ذلك من خلال قراءة فصول الحب بين الفلسطيني وكل حبة تراب، ويبدأ ذلك في قراءة معاني العشق بين الفلسطيني وكل شجرة واقفة على بوابة الشمس، ويبدأ ذلك في قراءة كل جماليات القلب عند الفلسطيني الذي رأى في أرضه كل معطيات الأمل والشموخ والروعة.

بلا وطن
بلا علم
بلا عنوان
ما قيمة الإنسان[1]

وصعب جداً أن تقول بمثيل لهذا الحب ما دمت ترى إلى غلاوة الرمق الأخير. هنا تنبض البلاد شمساً وشجراً وتراباً، لتكتب فلسطين ملحمة رائعة من ملامح العشق.

من أين أتى هذا العشق، وكيف وصل الشاعر إلى مثل هذه الصورة حين فرد أوراقه أمام حبيبة اسمها فلسطين؟؟

[1]: محمود درويش، أوراق الزيتون، قصيدة (رسالة من المنفى)، دار العودة، بيروت، ط10، 1984، ص60.

هو الإصرار الذي يأتي نتيجة طبيعة علاقة الفلسطيني بأرضه، وهو إصرار على البقاء والفداء والعشق... لتكون الأرض في كل مرحلة محور الصورة عند الفلسطيني. وهذا دليلا على هوية متجددة لهذا الأخير الذي يصر على كتابة قصيدته بأحرف البقاء.[1]

الإنسان شديد الصلة بالمكان الذي ولد فيه، ونشأ على ترابه، وهو البيئة التي لها الأثر الكبير في حياته وتكوينه الفكري والنفسي.

فالإنسان يرتبط بوطنه ارتباطا وثيقا، فتأثير الوطن في الإنسان أمر محتوم.

فإن هذه الصلة بين الناس والوطن أوثق في نفوس الشعراء، إذ يعاملونه إنسانا ذا روح وهوية. فدائرة الحب بينهم و بين وطنهم وسيعة، خاصة عند شعراء المقاومة الفلسطينية الذين يعيشون في وطن مكبول، يساوي الحب بالوطن بحب الحبيبة والأم في قلوب بعض الشعراء كمحمود درويش.[2]

فإذا تكلم معه، كأنه يتكلم معشوقته، أو كأنه ابن مناضل يكلّم أمه. ونشاهد مزجا عميقا بين صورة المرأة وصورة الوطن والعشق المتوهج إلى حد الفناء به. هو في قصائده المجنون عشقا في تراب الوطن.

فإن حبيبته هي الأرض، وهو يتغزل بها، لأنه يعتقد بأن القلب بلا حب هو قطعة لحم، تصلح أن تكون طعاما للكلاب.

هو شاعر الوطن، فيدافع عن وطنه، ولعل كل ما يكتبه في نهاية الأمر يتخلص كشف نفسية الإنسان الذي يدافع عن وطنه بمختلف الأشكال والأزياء:

نسيمك عنبر
أرضك سكر
وقلبك أخضر!

---

[1]: كنعاني غسان، الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال، دار النشر بيروت، ط1، 1987م، ص85.

[2]: ساري الديك، محمود درويش (الرسالة)، دار العودة، بيروت، 1991م، ص20.

وإني طفل هواك
على حضنك الحلو
أنمو وأكبر[1]

يقول درويش: «أنا لا أكون إلا في الأرض، وكل وجود خارجها إنما هو ضياع وتيه نهائي».[2]

لهذا نشاهد أشعار درويش عند قراءة ديوانه مليئة بوصف أرض الوطن وسمائه ومناخه، ونسائم لياليه البحرية وذرات التراب، وزيتونه ورائحة البرتقال والياسمين.

إن اهتمامه بالبرتقال والزيتون مستوحى من واقع الإنسان الذي غرس هاتين الشجرتين وسقاهما بالعرق والأمل، منتظرا ثمارها. فهذه العلاقة بين الزارع والشجرة تحمل مدلول استمرار الحياة والأمل والوطنية والتلقائية.

إن التشبيب بالأرض عند درويش شديد، إذ يضع الوطن في حقيبته في بعض قصائده عندما يضطر بترك الوطن، ويحمله إلى أي مكان يهرب ويطارد فيه.

إنه يحب الوطن، حب القوافل واحة عشب وماء، وحب الفقير الرغيف، ويعطي عيونه وفؤاده له ويعشقه رغم أن حرير صدره فرش وثير للعدو:

سأحب شهدك...
رغم أن الشهد يسكب في كؤوس الآخرين[3]

يغني درويش لوطنه حتى على المشانق، ويعزف حبه بالوطن في صدر يتأوّه بصوت يحصل من ذوبان قلبه تحت طاحونة الألم، إنه يحمل الوطن في دفاتر شعره، ويريد أن يذكر بلده بأناشيده، إنه خلف السور والباب في المنفى، ويستمر في الحياة بعشق وطنه فقط،

---

[1]: محمود درويش، الديوان، بيروت، دار العودة، ط11، 1982، ص18.

[2]: ياسين أحمد فاعور، الثورة في شعر محمود درويش، المرجع السابق، ص19.

[3]: محمود درويش، الديوان، المرجع السابق، ص11.

ويرجو أن يكون تحت عيني وطنه، لأنه جذر لا يعيش بغير أرضه، وتطير روحه دائما فوق أعشاب أرضه كفحلة، فإنه شبّه ألم البعد من الوطن بالنسر الذي يغمد منقاره في عينه:

أيها النسر الذي يرسف في الأغلال من دون سبب
لم يزل منقارك الأحمر في عيني
سيفا من لهب...[1]

حب الوطن يحتل ذاكرته ودماغه كالضوء، والوطن هو الصراخ الوحيد والصمت الوحيد عنده، فهو حزنه و فرحه، قيده وحريته، شمسه التي تنطفئ، وليله الذي يشتعل، وهو موته وحياته، والرئة الأخرى بصدره:

أموت اشتياقا
أموت احتراقا
شنقا أموت
وذبحا أموت
ولكنني لا أقول: مضى حبنا، وانقضى
حبنا لا يموت[2]

فإنما يبقيه حيا حب الوطن، كما يقول:

أيتها البلاد القاسية كالنحاس
قولي مرة واحدة: انتهى حبنا
لكي أصبح قادرا على الموت، والرحيل[3]

[1]: محمود درويش، الديوان، المرجع السابق، ص27.

[2]: محمود درويش، شيء عن الوطن، بيروت، دار العودة، ط1، 1971، ص50.

[3]: المصدر نفسه، ص51.

يصدق درويش وطنه، ويرى مدنا ضائعة، يرى راية فلسطين المهتزة على الأرض، يرى كربلاء، يرى وطنه في حبال الشوك راعية بلا أغنا،. وتؤذيه هذه الأربعة، ومع هذا لا يزال يأمل بحرية وطنه من الاحتلال، ويحتمل المصائب، لكي يشاهد ميلاد صباح الوطن، ويؤمن بأن وطنه نخلة لن تنكسر في العواصف. إذن شبّه الوطن هناك بالنخلة في الاستقامة، وشبه الأعداء بالعواصف:

وأنت كنخلة في البال
ما انكسرت لعاصفة
وما جذبت ضفائرها
وحوش البيد والغاب[1]

[1]: محمود درويش، شيء عن الوطن، المرجع السابق، ص51.

المبحث الثاني: الوطن والغربة

إن درويش يتمسك بقوة، وهي فوق الطاقة البشرية، إذ يندهش من ظلمة الغربة والأبواب المغلقة أمامه، يتصل في خياله بنبيه محمّد صلى الله عليه وسلم، ويتظلم عنده من كل المعاناة التي فرضها عليه اليهود، يشكو من سلب حريته، وغصب أرضه وبيته، ويتألم الغربة التي أثقلت كاهل شعبه في المنفى، ثم يسأل تدبير الأمر، ويسمع من لسان النبي ذلك العامل الفريد الذي يمكن بمساندته تحمل كل المرارة، وهو الإيمان والأمل بالله تعالى:

ألو أريد محمد العرب
نعم! من أنت؟
سجين في بلادي
بلا أرض بلا علم بلا بيت
رموا أهلي إلى المنفى
وجاءوا يشترون النار في صوتي ل
أخرج من ظلام السجين
ما أفعل؟
تحدّ السجن والسجان
فإن حلاوة الإيمان
تذيب مرارة الحنظل.[1]

إن مئات آلاف من أبناء فلسطين عن أرضهم وجذورهم وحضارتهم بعد نكبة 1948م، وعاشوا في الغربة بكل المرارة، باحثين عن مأوى، لاجئين في الخيام، أو مشردين على هامش مجتمعات غريبة.

[1]: محمود درويش، عاشق من فلسطين، 1977، www.alkottob.com، ص31.

بدأ أبناء فلسطين سفرا لا ينتهي تحت رياح الضياع والغربة، حاملين عذابات الارتحال الدائم، السفر الذي جعل المشردين كأزهار ذابلة، وذاق "محمود درويش" مرارة الغربة والبعد كمواطنيه الآخرين، إذ جرب الاغتراب داخل الوطن والنفي خارجه.

وأثّر هذا الاغتراب والتنقل من عاصمة إلى أخرى، في نفس درويش، وجَعَلا أشعاره حنينا مؤثرا في النفوس، ذلك أن الأغاني تخرج من القلوب الجريحة التي حرقتها الغربة.

ويصف في قصائده حياته في المنفى، ليس له رفيق غير شعره، وهو في المنفى بعيد عن حنان وطنه وربيع عينيه، ولكنه لا يكتفي بالتعبير عن نفسه فحسب، بل يصور العذاب الملحق بأبناء شعبه في المنفى من الاغتراب والإحساس بضياع الهوية، ووحشة البيت الخالي من الضحك والسرور:

وحين أعود للبيت
وحيدًا فارغًا إلا من الوحدة
يداي بغير أمتعة، وقلبي دونما وردة
فقد وزعت ورداتي
على البؤساء منذ الصبح... ورداتي[1]
وصارعت الذئاب، وعدت للبيت
بلا رنات ضحكة حلوة البيت
وحيدًا أصنع القهوة
وحيدًا أشرب القهوة
فأخسر من حياتي من كفاحي
أخسر النشوة
رفاقي هاهنا
المصباح والأشعار والوحدة

[1]: محمود درويش، عاشق من فلسطين، 1977، www.alkottob.com.

وبعض سجائر... وجرائد كالليل مسودة
وحين أعود للبيت
أحس بوحشة البيت
وأخسر من حياتي كل ورداتي
وسرّ النبع... نبع الضوء في أعماق مأساتي
واختزن العذاب لأنني وحدي[1]

في قصيدة رسالة في المنفى يصور درويش معاناته اليومية في المنفى. فما عنده شيء إلا رغيفا يابسًا، ودفتر أشعاره، إنه كطائر جريح فقد ريشه، وهو لا يستطيع الطيران، ينظر أن ينبت الريش على جناحه لكي يلحق في أجواء الوطن، يكتب رسالة إلى أهله ليخبرهم عن صحته، بينما يعلم بأن ليس أي بريد لحمل رسالته، ولهذا يبلغ نداءه بالعصافير الحرة. وفي رأيه أن الغريب يموت مرتين:

الموت الأول: وهو غربته في المنفى، لأن الوطن كل حياة الإنسان، وعندما يسلب عنه، فلا قيمة له بلا وطن:

وقال صاحبي: هل عندكم رغيف؟
يا إخوتي؟ ما قيمة الإنسان
أن نام كل ليلة... جوعان؟
أنا بخير أنا بخير
عندي رغيف أسمر
وسلة صغيرة من الخضار
الليل –يا أماه– ذئب جائع سفاح
يطارد الغريب أينما مضى
ويفتح الآفاق للأشباح

[1]: محمود درويش، عاشق من فلسطين، 1977، www.alkottob.com.

غابة الصفصاف لم تزل تعانق الرياح
ماذا جنينا نحن يا أماه؟
حتى نموت مرتين
فمرة نموت في الحياة
ومرة نموت عند الموت !... هل يذكر المساء
هاجرا مات بلا كفن؟
أماه يا أماه
لمن كتبت هذه الأوراق
أي بريد ذاهب سدت طريق البر والآفاق... وأنت يا أماه؟
ووالدي، وإخوتي والأهل و الرفاق
لعلكم أحياء
لعلكم أموات
لعلكم مثلي بلا عنوان
ما قيمة الإنسان
بلا وطن بلا علم، ودوننا عنوان
ما قيمة الإنسان؟[1]

تمتزج قصائد درويش التي تمحور عن غربة المنفى، بالحزن والحسرة، ولكن لا يختم عليها اليأس، بل في كثير من قصائده يجد الأمل بالعودة إلى الوطن، لأن مرارة التشرد وقسوة السوط إذا انتصرتا على أجساد المتشردين فلن تنتصرا على جوهرهم، والكرامة هي المبرر الوحيد لاحتمال عذاب الإنسان، هو يذكر للمتشردين أرقام أسرى في روم وسبايا في بابل وإفريقيا، وتفتت البلاط بأيدي هؤلاء الأسرى:

ونعني القدس:

[1]: كاميل روبرت، أعلام الأدب العربي المعاصر، سيرة وسير ذاتية، بيروت، 1995.

يا أطفال بابل

يا مواليد السلاسل

ستعودون إلى القدس قريبًا

وقريبا تكبرون

وقريبا تحصدون القمح في ذاكرة الماضي

قريبا يصيح الدمع سنابل

آه يا أطفال بابل

ستعودون إلى القدس قريبا

وقريبا تكبرون[1]

[1]: محمود درويش، الديوان، المرجع السابق، ص70.

المبحث الثالث: الوطن والمعاناة

البؤس والحرمان: حرم الشعب الفلسطيني من الأمن وحرية البيان، ليس له حق الحياة، وهو محكوم بالتشرد والسجن والخوف والاغتيال، سلب منه وطنه وجميع حقوقه الطبيعية، وتفكك إلى وحدات كالحصى والرمل.

ولكن رغم كبت الحرية الفكرية من جانب اليهود، نشأ في فلسطين جيل من الشعراء الذين ولدوا وترعرعوا في حضن المأساة، وشاهدوا الحقيقة وعاشوها، فخرجت من قلوبهم النبرة الشعرية المملوءة بالبؤس والحرمان والحزن والأسى.

ومحمود درويش من الذين ذاق مرارة المأساة ونمت أغصان نخلة أغانيهم في الحزن والفوضى.

تموج أشعار محمود درويش بالسطور التي تنقل المعاناة ونتائج المأساة الأليمة بكل أبعادها، فهذه المأساة حلقة من صراع الإنسان المسحوق ليأخذ دوره الذي يستحق في الحياة وفي نشاطه البشري، لأنه لا يصمت وشعره ليس معزولا عن الناس، لأنه يعتقد بأن الصمت المفروض من جانب العدو يساوي الموت، وهو كالسيف الذي يجرحه:

الشاعر العربي المحروم
تعود أن يموت بسيف صمته
ألقى على عينيه كل السر[1]

وها هو محمود درويش، محروم من كل النعم التي خلقها الله، وأودعها في تراب فلسطين، إنه محروم عن جميع حقوقه، حتى عن حق التكلم، واليهود لا يسمحون له وصف حرمان الشعب وبؤسه في قصائده. ولكن تتجلى حياة الوطن في أشعاره، فإنه يبلغ ندائه، ويريد أن يتكلم، ويبلغ رسالته إلى مسامع المجتمع العربي:

[1]: محمود درويش، الديوان، المرجع السابق، ص21.

فدعونا نتكلم

ودعوا حنجرة الأموات فينا تتكلم[1]

إنه يعتقد بأن جثث أبناء فلسطين التي تتساقط كأوراق الشجرة على الأرض أرفع صوت لإبلاغ نداء التظلم والحرمان.

فيصور درويش خصوبة أرض فلسطين ونضرتها، وسماءها الزرقاء والسكينة والهدوء المخيمين عليها بكلمات ممزجة بالأسف والحنين، الأسف الناجم عن اغتصاب هذه النعم، وهو حائر لا يعرف سبب هذا الاغتصاب:

غابة الزيتون كانت مرة خضراء

كانت... والسماء

غابة زرقاء... كانت يا حبيبي

ما الذي غيرها هذا المساء!

أوقفوا سيارة العمال في منعطف الدرب

وكانوا هادئين

وأدارونا إلى الشرق وكانوا هادئين

كان قلبي مرة عصفورة زرقاء... يا عش حبيبي

ومناديلك عندي، كلها بيضاء كانت يا حبيبي

ما الذي لطخها هذا المساء؟

أنا لا أفهم شيئا يا حبيبي[2]

إنه يذكر أيام طفولته، تلك الأيام التي عاشها في قرية "بروة" لعب بين ورودها وزيتونها، وتنفس في جوها الرائع، لا ينسى درويش ذاك اليوم الذي هدم اليهود بيته، وداسوا أزهاره بأقدامهم. فنضب الآبار والمياه، وأصبح درويش محروما من كل النعم منذ الطفولة:

[1]: محمود درويش، الديوان، المرجع السابق، ص29.

[2]: المصدر نفسه، ص13.

عندما كنت صغيرا وجميلا
كانت الوردة داري
والينابيع بحاري
صارت الوردة جرحا
وينابيع ظمأ[1]

ويصف درويش في بضعة أسطر جميع الجرائم التي اقترفها اليهود ضد شعب فلسطين، من سلب حريته في التعبير، والقيود والسلاسل التي وضعوها على يده، والتعذيب في غرفة التوقيف والسب والشتم، وما واجهه من الافتراء والاتهام بسبب عروبته، فهو يصف بلغة سهلة، واضحة حرمان شعبه من الطعام والملابس، ومن وطنه فلسطين التي شبهها بحبيبته الصغيرة، التي قبض عليها الأعداء:

وضعوا على فمه السلاسل
ربطوا يديه بصخرة الموتى
وقالوا أنت قاتل!
أخذوا طعامه، والملابس والبيارق
ورموه في زنزانة الموتى
وقالوا: أنت سارق!
طردوه من كل المرافئ
أخذوا حبيبته الصغيرة
ثم قالوا: أنت لاجئ[2]**!**

كيف يستطيع درويش أن يفرح، حيث يتكسر جسم وطنه المكبول، ويعاني شعبه ويحزن صوته من أجل حرمان الشعب والوطن، كيف لا؟

[1]: محمود درويش، الديوان، المرجع السابق، ص28.

[2]: المصدر نفسه، ص30.

وهو يشاهد هذا الحزن في كل شبر من فلسطين حتى في القمر، وفي صوت المياه المتقطرة من روافد البيت، وفي عيون حبيبته الساهمة، وفي يدي أبيه الحنونتين:

كان القمر
كعهده –منذ ولدنا– باردًا
الحزن في حبيبه مرقرق...
روافدا... روافدا
قرب سياج قرية
خرّ حزينا شاردًا
كان حبيبي
كعهده –منذ التقينا– ساهما
الغيم في عيونه
كان أبي
كعهده، محملا متاعبًا
يطارد الرغيف أينما مضى...
لأجله يصارع الثعالبا[1]

سلب من الفلسطيني كل شيء حتى بيته، وظل شريدا، لا يأمن من الريح والأمطار، ويحاول درويش إيصال هذا الحرمان إلى مسمع المجتمع العربي والعالم كله، بينما يعلم لا جدوى من هذا التظلّم:

وأنا الأسفلت
تحت الريح والأمطار
مطحون الجنان
لا تفتح الأبواب في وجهي

[1]: محمود درويش، الشاعر الفلسطيني، http://arabooks.tk

ولا تمتد نحو يدي يدان[1]

ومن ضمن المعاناة التي عاشها محمود درويش السجن:

عاش محمود درويش حقيقة السجن، إذ ذاقه منذ حداثته مرارا بسب أغانيه المفعمة بالتحدي والغضب والتي تدافع عن الشعب الفلسطيني وعبير البرتقال، ظن العدو الصهيوني أنه يستطيع أن يسكت حنجرة الشاعر باعتقاله في السجن، بينما لا يخرج صوت الشاعر من فمه، بل يخرج من قلبه، وكما يقول درويش، الشعر دم القلب ودموع العين، صوت الشاعر، صوت الحرية وصوت الأرض، لا يمكن أن يحبس في زجاجة. إذن ليس منع دفاتر الشعر ووضع التراب على فم الشاعر، وشد السلاسل على يده، مانعًا في سبيل مقاومة درويش، لأنه إذا شدت يداه وملئ فمه بالتراب يغني بلسان مليون عصفور على أغصان قلبه، و يكتب أبياته بالأظافر والمحاجر والخناجر، والسجن لم يبعده عن الناس والأشياء والقضية، وهو يحكي قصة احتلال وطنه في كل مكان، في غرفة التوقيف وتحت السوط والقيد، يقول:

شدوا وثاقي
وامنعوا على الدفاتر والسجائر
وضعوا التراب على فمي
فالشعر دم القلب
ملح الخبز
سأقولها[2]

يقدر درويش تحمل ألم السجن، ولكن الوطن هو الذي يؤذيه، ويحن إليه خلف السور والباب، ويذوق مرارة فراغه، إنه يريد أن يعيش حرًا تحت ضوء عيني وطنه، ويرجو الرجوع إلى مهد طفولته.

[1]: محمود درويش، الديوان، المرجع السابق، ص67.

[2]: كنعاني غسان، الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية، 1987، ص123.

ولهذا نجد في حبسياته روح الأمل بالحرية والعود إلى حضن الأم، غير السجن وجهة نظره وزاد قيمة كل شيء عنده، وهو في السجن ينظر إلى كل شيء بالنظر الجديد. فصار القمر أحلى وأكبر في السجن، وصارت رائحة الأرض عطرًا له، وطعم الطبيعة سكرا له، إنه يرى حريته على سقف السجن، وهي مصلوبة على النار، يصرخ ويخبر الجلاد بعودته وتحرير المسجونين وموت أحزان السجن بعد أن يسترجع الزيتون خضرته ويمر البرق في وطنه:

كنت مصلوبا على النار!
أقول للغربال: لا تنهشي
فربما أرجع للدار
وربما تشتي السما
ربما... تطفئ هذا الخشب الضارى!
أنزل يوما عن صليبي
ترى
كيف أعود صافيا... عارى[1]!

[1]: كاميل روبرت، أعلام الأدب العربي المعاصر، سيرة وسير ذاتية، بيروت، 1995.

خاتمة

خاتمة:

وختاما لما ورد سابقا، يتخلص مضمون هذا البحث المقدم بعنوان: "المرأة والوطن في شعر محمود درويش" في استنتاجات أهمها:

أول ما يمكن التحدث عنه ما ورد في المدخل، فقد لاحظنا حضور المرأة والوطن في الشعر العربي بشكل مكثف وخاصّة الجاهلي منه، والرؤية المادية والمعنوية والتقديس العظيم للمرأة والوطن وما لاحظنا ميل وبروز الكثير من الشعراء العرب إلى هذه المواضيع والتطرق إليها بشتى الأساليب.

وثاني شيء حضور المرأة في الشعر المعاصر لكن بشكل مغاير عن الشكل الموجود في الشعر القديم، فأصبحت تمثل رمزا يلجأ إليه الشاعر ومن خلاله يعبر عن قضايا الأرض والوطن والحرية.

أما الفصل الأول فتحدثنا عن صورة المرأة عند الشاعر محمود درويش الذي يعتبر من الشعراء الذي يعلون من شأن المرأة، فهو يسمو بها ويخاطب فيها العقل والروح، ويجعل قيمتها من قيمة الوطن.

محاولة الشاعر الرقي بالمرأة بذوقها عواطفها، كلامها... الخ.

مخاطبة الشاعر وإدراج داخل شعره كل الفئات النسوية بداية من الأم ثم الأخت ثم الحبيبة إلى العدوة، وكلها رموز للوطن وارتباط بالأرض، فقد أضفى محمود درويش لقصائده الطابع السياسي والغزلي والديني مستخدما في ذلك المرأة كصورة فنية نابعة من رحم المعاناة وحبه للوطن فلسطين، وتعلقه بها، فارتبط بحبه المرأة باعتبارها المعادل الموضوعي للأرض، تلك إذن هي صورة المرأة في شعر محمود درويش.

أما الفصل الثاني، فتناولنا صورة الوطن في شعر محمود درويش مبرزين القضايا التي عالجها محمود وعبّر عنها.

فيتضّح من خلالها، معاناة محمود درويش من جرّاء الاحتلال وجرحه العميق إثر نفيه واغترابه، وفقدانه لهويته في ظل الظلم والاستبداد، وهنا يمكن القول أن الإنسان بلا

وطن كالروح بلا جسد، فالشاعر لم يغفل عن ذكر أهم مواقف الصمود ومواصلة الكفاح حتى وهو بعيد عن وطنه.

كما نلاحظ، ارتبط حب محمود درويش للوطن بكل ما له علاقة بالأرض كالحجر والصخر والتراب والطين والرمل، والوحل، والماء... ورغم معاناته لم يكن سوداويا أو متشائما في شعره، فلم تزده المعاناة والغربة إلاّ صلابة وصمودا، فكان شاعرا من درجة عالية من الوعي والثقافة والنضج الفني، مما جعل قصائده نابعة من مشاركة عاطفية وفكرية، فقد استخدم المرأة والوطن كتراث إنساني وأحسن توظيفه.

استطاع الشاعر أن يفجّر موهبته الشعرية من خلال توظيف واقع معاش داخل وطنه الأم، فأصبح بمثابة نقطة تحول في تاريخ الشعر العربي.

أثبت محمود درويش أن الشعر العربي قادر على استيعاب واقع المعاناة وتجسيمه في قالب إنساني، فمزجه للمرأة والوطن كان مزجا فنيا رائعا وإبداعا شعريا عظيما.

وفي الأخير يمكن القول أن صورة المرأة والوطن في شعر محمود درويش كانت أروع قنبلة تصويرية ولوحة فنية جميلة، اكتسبها الشعر العربي وزخر بها.

ملاحق

كتب وتحليلات حول الأديب محمود درويش:

محمود درويش: (ضلال المعنى وحرير الكلام)

أ. السيرة العلمية:

ولد محمود درويش في 1941/03/13 في قرية البروة في الجليل، ترعرع في عائلة تتكون من خمسة أولاد وثلاث بنات، كان محمود الابن الثاني في عام 1948، نزع وعائلته إلى جنوب لبنان. وهناك عرف معنى كلمة لاجئ، عاد بعد ذلك مع عائلته ليسكن في قرية دير الأسد. وتعلم لمدة قصيرة في قرية البعنة، انتهى المطاف بالعائلة إلى الجديدة القريبة من قريبته المهجرة البروة وقد أطلق على طفولته اسم "الطفولة المنفيّة".

كان نبيهًا في دراسته، وكان يهوى الرسم وركوب الخيل والاستماع إلى الجزل الشعبي، تلقى تعليمه الثانوي في كفر ياسيف، ثم عمل في الصحافة الشيوعية. أشرف على تحرير مجلة الجديد، وقد انتقل إلى السكن في مدينة حيفا. اعتقل عدة مرات بسبب مواقفه وشعره، ترك البلاد فجأة في 1970 إلى موسكو، حيث سافر في بعثة دراسية، ثم سافر إلى مصر، وهناك أعلن مسوقات خروجه من البلاد، ثم انتقل إلى لبنان. لم ينتم رسميًا إلى منطقة التحرير الفلسطينية، بل كان مقربًا منها حتى عام 1986 انتخب عضوًا فيها ثم استقال عام 1993.[1]

شغل منصب رئيس رابطة الكتاب الفلسطينيين 1987، وعمل في بيروت في مؤسسات النشر والدراسات التابعة لمنظمة التحرير الفلسطيني، بعد خروجه من بيروت أقام في باريس ثلاثة عشر عامً، ثم عام إلى رام الله بعد اتفاقية أوسلو 1994، فكان ينتقل بين مسكنيه في عمان ورام الله، شغل في رام الله منصب مدير مركز خليل السكاكيني، حيث واصل فيه نشر مجلة الكرمل الثقافية المهمة التي أسسها سنة 1981.[2]

[1]: عادل محمود محمود، محمود درويش الجوهرة المؤلمة، دار الكتب، سلسلة الأعلام، العدد1، ص10.

[2]: موسوعة أبحاث ودراسات في الأدب الفلسطيني الحديث رقم 03.

تنقل درويش بين دول وعواصم كثيرة، وقد حصل على عدة جوازات سفر، ويضمها جواز سفر فلسطيني، حصل درويش تقديرًا لشعره على العديد من الجوائز، أهمها:

- جائزة لونس 1969.
- جائزة البحر المتوسط 1986.
- درع الثورة الفلسطيني 1981.
- لوحة أوروبا للشعر 1982.
- جائزة ابن سينا في الاتحاد السوفييتي 1982.
- جائزة لينين 1983.
- جائزة البحر المتوسط 1985.
- أعلى وسام تمنحه وزارة الثقافة الفرنسية 1997.[1]
- جائزة ملك هولندا، جائزة الأمير كلاوس (هولندا) عام 2004.
- جائزة العويس الثقافية مناصفة مع الشاعر السوري أدونيس عام 2004.

مر درويش بتجربة القلب المفتوح 1984 – 1998، وفي المرة الثالثة في 2008، توفي في إحدى مستشفيات هيوستن في الولايات المتحدة الأمريكية.

ب. السيرة الشعرية:

بدأ درويش مسيرته الشعرية رسما عام 1960 بصدور مجموعته الشعرية "عصافير بلا أجنحة"، وقد امتزج المحوران الوطني الأممي والرومانسي في هذه المجموعة، كما تعرض لها النقاد مثنين على الجانب الوطني ومعرضين على الجانب الغزلي، وقد تنصل درويش في فترة مبكرة من هذه المجموعة، ولم يدرجها في المجموعة الكاملة. ولم يقبل أن تطبع ثانية، لقد كانت انعطافة درويش واضحة شكلاً ومضمونًا في مجموعته الثاني "أوراق الزيتون

[1]: محمد عبد الهادي، تجليات رمز المرأة في شعر محمود درويش، قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، ص02.

1964"، وباعتباره محررًا في مجلة الجديد الثقافية، التي واكبت ورصدت أهم تطورات حركة الأدب العربي في إسرائيل.

اهتم ألا يغلب الجانب المضموني، ويقصد فيه معاناة الشعب الفلسطيني، والقضية الفلسطينية على الجانب الجمالي، كما وحاول الفصل بين المشروع الجمالي وبين مصطلح "شاعر المقاومة" الذي يؤطر الشكلي ويجعله في أحيان كثيرة منسقًا للمضمونين.

قسم النقاد مراحل محمود درويش الشعرية إلى عدة أقسام يجمعها القاسم المشترك بين جميع التقسيمان، وهو علاقة الشاعر بالوطن في قضيته وعلاقته بالمعنى أو خروجه من البلاد وعلاقته بالذات.[1]

من بين هؤلاء النقاد الباحث "محمد فكري الجزار" الذي قسم شعره إلى ثلاثة أقسام، المرحلة الأولى أو مرحلة الوجود في الوطن، تمثل هذه المرحلة بدايات تفتح وعي الشاعر على قضية وطنه، وهنا يمثل الوعي الجماعي، المهد والحضانة لنمو الشاعر جماليً، وقد شملت هذه المرحلة صور انتماء الشاعر إلى وطنه ثم صورة الاحتلال وصورة مواجهة، أما المرحلة الثاني، عند الجزار في مرحلة الوعي الثوري إذ تعتبر هذه المرحلة تنظيما للمشاعر الجمعية العامة في المرحلة الأولى وتمتد إلى عام 1982، أما المرحلة الثالثة فهي مرحلة الوعي الممكن والحلم الإنساني وفيها تخليص رؤية درويش الشعرية من جمعيتها المجتمعية في الرحلة الأولى.

لا تختلف تسميتها في جوهرها تسميته الجزار إلا أننا حددنا التسمية أكثر لنجعلها دّالة على علاقة الشاعر بنصه الشعري وخارجه، فالتسمية التي نقترحها تعتمد على علاقة الشاعر بمصه فنيًا، وبخارج نصه إيديولوجيًا، أي كيف انتقل درويش من الفكر الماركسي في المرحلة الأولى إلى الفكر القومي في المرحلة الثانية وإلى الفكر الكوني الإنساني في المرحلة الثالثة، دون إغفال فلسطينيته، ومن خلال جدلية العلاقة بين عناصر المثلث:

[1]: موسوعة أبحاث ودراسات في الأدب الفلسطيني الحديث رقم 04.

الشاعر النص وخارج النص ارتأينا تقسيمنا. وذلك العلاقة فيما بين هذه العناصر مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالمتلقي.[1]

يمكن تقسيم المسيرة الشعرية عند محمود درويش إلى ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: (1960 – 1970) أسميتها مرحلة الاتصال، انتمى الشاعر في هذه المرحلة إلى التيار الرومانسي في الشعر العربي المعاصر، وقد احتذى بشعراء أمثال بدر شاكر السياب (1926 – 1964) نلاحظ في هذه المرحلة سيطرة الخطاب المباشر على نصه الشعري، يوظف الشاعر تقنيات أسلوبية مثل التناصل أو الرمز التراثي، القناع وغيرها من التقنيات تخدم مضمون رسالته، يبدو كذلك أن موقف الشاعر السياسي، الإيديولوجي واضح وراشح من خلال نصه الشعري، وقد انتمى إلى الحزب الشيوعي في هذه المرحلة واعيًا إلى الأدب الملتزم المجنّد.

مؤلفات الشاعر:

أ. إنتاج محمود درويش الشعري:

- عصافير بلا أجنحة "عكا": مطبعة كرمرتسئيل 1960.
- أوراق الزيتون "حنيفا": مطبعة الاتحاد التعاونية 1946.
- عاشق من فلسطين "الناصرة": مطبعة أوفست الحكيم 1966.
- آخر الليل "عكا": مطبعة الجليل 1967.
- العصافير تموت في الجليل "بيروت": دار الآداب 1970.
- حبيبتي تنهض من نومها "بيروت": دار العودة 1970.
- أحبك أو لا أحبك "بيروت": دار الآداب 1972.
- محاولة رقم 7 "دم": دار العودة 1973.
- تلك صورتها وهذا انتحار العاشق "بيروت": دار العودة 1975.

[1]: محمود عادل، محمود درويش الجوهرة المؤلمة، الهيئة العامة للكتاب، منشورات الطفل، وزارة الثقافة، دمشق، 2011، العدد 1، ص11.

- أعراس "بيروت": دار العودة 1977.
- مديح الظل العالي "بيروت": دار العودة 1983.
- حصار بمدائح البحر "بيروت": دار العودة 1984.
- هي أغنية هي أغنية "بيروت": دار الكلمة 1986.
- ورد أقل"بيروت": دار العودة 1986.[1]
- أرى ما أريد "بيروت": دار الجديد 1990.
- أحد عشر كوكبا "بيروت": دار الجديد 1992.
- لماذا تركت الحصان وحيدًا "لندن": رياض الريس 1995.
- سرير الغريبة "بيروت": رياضي الريس 1999.
- جدارية محمود درويش "بيروت": رياض الريس 2000.
- حالة حصار "بيروت": رياض الريس 2002.
- لا تعتذر عما فعلت "بيروت": رياض الريس 2004.
- كزهر اللوز أو أبعد "بيروت": رياض الريس 2005.
- لا أريد لهذه القصيدة أن تنتهي "بيروت": رياض الريس 2009.
- ديوان محمود درويش أو الأعمال الكاملة، المجلد الأول "بيروت": دار العودة 1971.
- ديوان محمود درويش المجلد الثاني "بيروت": دار العودة 1994.

ب. إنتاج محمود درويش النثري:

- شيء عن الوطن "بيروت": دار العودة 1971.
- وداعًا أيتها الحرب... وداعًا أيها السلام "دم": مركز الأبحاث منظمة التحرير الفلسطينية 1974.
- يوميات الحزب الشيوعي "بيوت": دار العودة 1976.
- بيروت فلسطين البرابرة ""حيفا": منشورات البلد د.ت.
- في انتظار البرابرة "القدس": وكالة أبو عرفة 1987.

[1]: محمود درويش، الأعمال الأولى، رياض الريس للكتب والنشر، ط جديدة، 2009.

ملاحق:

- ذاكرة النسيان "بيروت": المؤسسة العربية للدراسات والنشر 1987.
- في وصف حالتنا "بيروت": دار الكلمة 1987.
- الرسائل محمود درويش وسميح القاسم "حيفا": عربسك 1989.
- عابرون في كلام عابر... "الدار البيضاء": دار توبقال 1991.
- في حضرة الغياب "بيروت": رياض الريس 2006.
- حيرة العائد "بيروت": رياض الريس 2007.
- أثر الفراشة "بيروت": رياض الريس 2008.[1]

[1]: موسوعة أبحاث ودراسات في الأدب الفلسطيني الحديث.

قائمة

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- الحديث النبوي الشريف.

أولا المصادر

1. سميح القاسم، المجموعة الكاملة، م2.

2. محمود درويش، الأعمال الأولى، رياض الريس للكتب والنشر، ط.ج، 2009.

3. محمود درويش، الديوان، دار العودة، بيروت، ط11، 1982.

4. محمود درويش، الديوان، دار العودة، بيروت، ط12، 1993.

5. محمود درويش، شيء عن الوطن، دار العودة، بيروت، ط1، 1971.

6. محمود درويش، عاشق من فلسطين، ط1، 1997.

ثانيا: المراجع

7. أحمد محمد الخوفي، المرأة في الشعر الجاهلي، دار الفكر العربي، ط2.

8. التهامي الهاني، الوطن والمرأة في شعر نزار قباني، صامد للنشر والتوزيع، ط2، 2006.

9. حسن عبد الجليل يونس، المرأة عند شعراء صدر الإسلام، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2002.

10. رجاء النقاش، محمود درويش شاعر الأرض المحتلة، دار الهلال للنشر والطباعة، ط2، 1971.

11. ساري الديك، محمود درويش، دار العودة، بيروت، 1991م.

12. صلاح الدين الهواري، المرأة في شعر نزار قباني، دار البحار، بيروت، لبنان، د.ط، 2008.

13. علي الطنطاوي، فكر ومباحث، دار المنارة، جدّة، ط2، 2011.

14. كنعاني غسان، الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال، دار النشر، بيروت، ط1، 1987.

15. محمد عبد ربّه، محمود درويش من المهد إلى اللحد، دار يافا العلمية للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، ط1، 2009.

16. وهيب طنوس، الوطن في الشعر العربي من الجاهلية إلى لاقرن الثاني عشر ميلادي، ط1، 1976/1975.

17. ياسين أحمد فاعور، الثورة في شعر محمود درويش، دار الطباعة والنشر، سوسة، تونس، ط1.

ثالثا: المذكرات

18. بايزيد فاطمة الزهراء، رهيوي سليم، صورة المرأة في ديوان الشاعر محمود درويش، مذكرة لنيل شهادة ماستر، كلية اللغة العربية وآدابها، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2015/2014.

رابعا: المجلات

19. محمد فؤاد ديب السلطان، صورة النكبة في شعر محمود درويش، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد 10، العدد 1، 2002.

خامسا: المواقع الإلكترونية

20. الشاعر الفلسطيني محمود درويش، http://arabooks.tk.

21. عمار عكاشة، صورة المرأة في الشعر المعاصر، www.alhour.org.

22. محمد صلاح أبو حميدة، المرأة في شعر محمود درويش، www.arabs48.com.

23. محمد عبد الهادي، تجليات المرأة في شعر محمود درويش، el.hadi83@yahoo.com

24. محمود درويش، عاشق من فلسطين، www.alkotob.com.

فهرس

فهرس

بسملة.

كلمة شكر وعرفان.

إهداء .

مقدمة .....أ

مدخل 2

الفصل الأول: صورة المرأة في شعر محمود درويش

المبحث الأول: المرأة الأم 14

المبحث الثاني: المرأة الوطن 18

المبحث الثالث: المرأة الحبيبة..... 22

الفصل الثاني: الوطن في شعر محمود درويش

المبحث الأول: الوطن والهوية..... 32

المبحث الثاني: الوطن والغربة 37

المبحث الثالث: الوطن والمعاناة..... 42

خاتمة 49

ملاحق 52

قائمة المصادر والمراجع..... 59